العربية قبل سيبويه في نثر أبي مِخْنَف الأزديّ الكوفيّ
(٠٠٠-١٥٧هـ/٠٠٠-٧٧٤م)
قراءة لآراء المستشرق الألماني فولفديتريش فيشر

د. يحيى بن عبدالله بن حسن الشريف
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية

الملخص

تتلخص فكرة البحث في مناقشة آراء المستشرق الألماني فيشر؛ الذي أثار جملة من القضايا، وهي قضية قِدَم الدراسات العربية وأنه كانت للعرب معارف لغوية، وقضية أسبقية مدرسة الكوفة على مدرسة البصرة في الدراسات اللغوية، وقضية أن العربية المعرَبة هي من صنع النحاة، وكان معتمد فيشر في آرائه السابقة نص لأبي مخنف الأزدي نقله الطبري في تاريخه (تاريخ الرسل والملوك) وذلك بالمقارنة بين لغته النثرية ولغة معاصره ابن إسحاق، وخلص إلى أن أبا مخنف قد خضع لتعليم مدرسي في مدينة الكوفة. وقد تناول البحث بطريقة علمية هذه القضايا وأفاض في مناقشتها وتأصيلها، ثم انتقل من ذلك إلى دراسة نص أب يمخنف دراسة أسلوبية تحليلية، وقارن بين ما استعمله أبو مخنف من استعمالات نحوية ولغوية وصرفية بما كان لدى النحاة فيما بعد؛ما وافقهم فيه، وما وافق الكوفيين خاصة، وما خالف الأكثر، واستعمالاته الخاصة، وانتهى إلى نتائج أرجو أن تمثل إضافة علمية ذات قيمة.

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي ـ المستشرق الألماني فيشر ـ أبو مخنف الأزدي الكوفي ـ سيبويه ـ المدرسة النحوية الكوفية ـ مدرسة البصرة النحوية ـ تطور التفكير النحوي

The Pre-Sibawayh Arabic in the Prose of Abu Mikhnaf Al-Azdi of Kufa (000-157 A.H./000-774 A.D.): a Perusal in the Views of Wolfdietrich Fischer, the German Orientalist

Abstract:

The idea of the research is summed up in discussing the opinions of the German orientalist Wolfdietrich Fischer who raised a number of issues, namely, the issue of the obsolescence of Arabic language studies and the fact that the Arab had been studied as a scientific discipline. In addition, this article addresses the issue of the seniority and precedence of Al-Kufa school to Al-Basra school in linguistic studies. According to the perusal of Fischer's writings, it emerges that the issue of Pidginized Arabic was first dealt with by grammarians of the time. In all his former opinions Fischer relied heavily on a text written by Abu Mekhnaf Al Azdi which Al- Tabari had cited in his history (History of Prophets and Kings) in which the latter compared the former's prose with the language of his contemporaneous author Ibn Isaac, eventually concluding that Abu Mekhnaf Al Azdi had acquired formal schooling in the city of Kufa. This article academically examined these issues in an in-depth discussion of the fundamentals of prose and criticism of the time, then moved to an elaborate perusal into a text devised by Abu Mekhnaf Al Azdi. The perusal has dealt with this text using stylistic analysis. It further compared Abu Mekhnaf Al Azdi's usages from a grammatical, lexical and syntactic view and the theories of later grammarians. The article critically discussed what he agreed with them on and what he agreed specially with the Kufa scholars as well as other areas of disagreement. The research concluded with interesting results which the author hopes would add to the disciplines of knowledge in a valuable way.

مقدمة :

عُرف المستشرق الألماني فيشر بعنايته الكبيرة باللغة العربية[١]، وحاول من خلال بحثه[٢] (**نثر أبي مِخْنَف**) أن يثبت عدة قضايا، وسوف أناقشها، ثم أنتقل منها إلى دراسة وتحليل نصّ أبي مخنف الأزديّ الكوفيّ[٣] وأتبين منه ما ذكره فيشر.

وينطلق فيشر (٢٠٠٥م: ص ١٦) في بحثه من مشكلتين ذكرهما في غير هذا البحث؛ الأولى: عدم معرفة بدايات اشتغال العرب نظريا باللغة إلا طرائف وليس شيئا صحيحا، فكتاب سيبويه وهو الأقدم بين أيدينا يبين أنه خلاصة مناقشة قد نُمِّيت عبر

(1) البروفيسور ڤولفديتريش فيشر(١٩٢٨م- ...) أحد أبرز المستشرقين الألمان، اتصل باللغة العربية وأعجب بها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وألّف كثيرا من الأبحاث حولها، ودرس عليه عدد كبير من الباحثين العرب، وأشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تتمحور حول العربية وتاريخها، ويشغل منصب مدير معهد الدراسات الشرقية واللغات السامية في جامعة أيرلانجن بجمهورية ألمانيا الاتحادية . ينظر : أبحاث عربية في الكتاب التكريمي لفيشر .

(2) البحث منشور في الكتاب التذكاري المقدم إلى ف . ماير F. Meier بعنوان : بحوث في علم الدراسات الإسلامية، فيسبادن ١٩٧٤م، وترجمه د/ محمد فؤاد نعناع ضمن كتاب : بحوث ألمانية في الأدب العربي القديم، ٢٠٠٨م : ٢٠٣-٢١٩.

(3) لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الغامدي ... – ١٥٧هـ راوية عالم بالسير والتاريخ، وهو أول من صنّف في أخبار الفتوح، وأيام العرب، وأحاديث الخلفاء والولاة حفظ معظمها محمد بن جرير الطبري في تاريخه . تنظر ترجمته في : ابن النديم، ١٩٩٤م : ١٢٢، الحموي، ١٩٩٣م : ٥/ ٢٢٥٢، الصفدي، ٢٠٠٠م : ٢٤/ ٣٠٥، هدية العارفين ٥/ ٨٤١، بروكلمان، ١٩٨٥م : ١/ ٢٥٣، الزركلي، ٢٠٠٢ : ٥/ ٢٤٥.

أجيال ولكن بدايتها ومجراها تغشاهما ظلمة، وعبّر عن هذا بشكل أدقّ عندما قال: «إن البحوث في نشأة النحو العربي لم تحقّق نجاحا كبيرا حتى الآن، ولم يدرك كثير من المعلومات الصالحة لتوضيح ما حدث فيما بين بدايات النقاش النحوي في عهد أبي الأسود وظهوره في صورة متكاملة في كتاب سيبويه» (عمايرة ١٩٩٢م: ص ٦٨). وهي كما يذكر مشكلة رآها من قبل هيرمان ريكندورف herrman Reckendorf في كتابه (النحو العربي) المنشور سنة ١٩٢١م وهو يتطلع إلى مزيد من البحث فقال: «إن النظرة التاريخية إلى النحو العربي هي الآن من المهام الملحّة في الدراسات العربية» (عمايرة ١٩٩٦م: ٤٣١).

والمشكلة الثانية، وهي مرتبطة بسابقتها، التصنيف الزمني لمراحل اللغة العربية، وبتحديد أكثر معرفة نشوء العربية الفصحى، ويؤكِّد أن كل محاولات تعقُّب رواية فقهاء اللغة العرب وتفسيرهم لذلك يجب أن تظل افتراضية بشكل أو آخر، ويرى فيشر أن متطلب التصنيف لم يتأتّ إنجازه في العربية إلى يومنا، وأنه مشروط بتفسير دقيق للنصوص ومعرفة خصائص الاستخدام اللغوي الذي كان سائدا في المحيط الزمني لنصٍّ ما، وفي العربية يصطدم الباحث عند محاولة ترتيب المراحل الزمنية لتاريخها بعقبتين:

١- نشوء القواعد النحوية المعيارية المدرسية التي أرست دعائم النظام النحوي على نحو لا يقبل التبديل.

٢- ثبات اللغة، وهو ثمرة لما قبله، وهذا أدى إلى احتمال أن تُعامل النصوص القديمة، المنبثّة في النصوص الأحدث منها، باعتبارها لم تتغيّر.

واستتبّ التأثير المعياري للمدارس النحوية في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وكان كتاب سيبويه مرحلة هي الحدّ بين مرحلتين، وبلغت اللغة في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين مرحلة جوهرية في تحقُّق ما يُعرف باللغة الفصحى أو الكلاسيكية العربية، أتت بعدها مرحلة الكتابة المعاصرة، أو ما يمكن أن يُسمى (ما بعد الكلاسيكية).

ويفضل فيشر (٢٠٠٥م: ١٠٧- ١٢٥) أن ينصرف إلى الحديث عن المرحلة التي تقع قبل التأثر بالنظام المدرسي للنحاة العرب أو ما أشار إليه بـ (ما قبل الكلاسيكية) وهي لغة تختلف اختلافا بيّنا عن المرحلة الكلاسيكية التي تشكّلت فيها المدارس النحوية، وهي تتميز ببعض التغييرات.

ويكاد يتفق هذا التقسيم لمراحل العربية مع ما ذكره د. عبدالرحمن أيوب من تقسيمها إلى العربية الفصحى وهي لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، والعربية الأدبية وهي لغة الشعر والتأليف منذ العصر العباسي، والعربية الأدبية الحديثة وتشمل لغة التأليف والإعلام في العصر الحديث [(١)].

وقبل أن أناقش القضايا التي أثارها فيشر فإني أشير إلى ما ذكره د. عبدالقادر المهيري (١٩٩٣م: ٢٢٣-٢٢٩) في قراءته لكتاب د. علي أبوالمكارم (**تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري**) من أن النحو العربي لم يحظَ إلى الآن بتاريخ شامل يضبط ظروف نشأته، ويتتبّع ظهور عناصره وتبلورها، ويحدد مراحل تطوره، ويقيم مساعي رجاله، ويبحث في المنطلقات الفكرية ويُبرز معنى حركات التأليف المتوالية.

ويصف مشروع د.أبو المكارم بأنه ذو أهمية بالغة؛ كونه لا يقع تحت سيطرة الأفكار السائدة أو الموروثة عن شخصية من الشخصيات أو مؤلَّف من المؤلفات، ففي الباب الأول من كتابه يتناول بطريقة نقدية ما يذكر من حوادث أو روايات حول وضع علم النحو وأن من السذاجة والخطأ التسليم بها؛ فوضع بعض الأبواب النحوية وتجريد المصطلحات ضد منطق التطور الطبيعي، فليس معقولا أن ينبثق فجأة علم يتصل

(1) ينظر بحث : (المقارنات اللغوية وتاريخ اللغة العربية) ضمن كتاب ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ص ١٥٤.

باللغة متكامل المنهج، محدد الظواهر والأبعاد، وكان لأبي الأسود ومعاصريه تمهيد السبيل، وارتياد الطريق، وليس وضع القواعد والتعريفات التي لم تكتمل إلا بعد نهاية القرن الثاني.

وفي الباب الثاني من الكتاب دراسة لتطور التفكير النحوي منذ عصر تلاميذ أبي الأسود إلى عصر الخليل، وهذا العصر أشقّ عصور النحو العربي على الباحث؛ لأنه لم يبق لنا مؤلّف، من التآليف النحوية التي قد تكون وُضعت فيه، يجسّم التطور أو يتضمن صداه، وليس بأيدينا إلا نقول أو أقوال منسوبة تمثل آراء جزئية، ورغم هذا الغياب فقد حرص المؤلِّف على تقديم فكرة عامة حول الاتجاه الذي سارت فيه الدراسات النحوية، وحاول تصوّرها من خلال المعلومات المقتضبة فقد بدأ أبو الأسود عمله بضبط المصحف وشكله، وهذا إدراك لدور الحركات في ضبط المعاني وإبراز العلاقات بين الوحدات التركيبية.

وتمثّلت أهمية الجيل الذي خلف أبا الأسود في التصدّي لحل المشكلة اللغوية وما نتج عنها من تناول الظواهر اللغوية بالتقعيد المحدود واستخدام المصطلحات في معناها الفني. أما الجيل التالي لهم ويبرز فيه ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر فقد أضاف إلى ما سبق تلمُّس أصول تنبني عليها هذه القواعد وتسجيل ما أدركوه من ظواهر العربية، وكان كتاب سيبويه بلغ درجة كبيرة من التجريد والنضج والإتقان بما يعطي صورة لما كان عليه التفكير النحوي في النصف الأول من القرن الثاني.

القضية الأولى:

وأُولى القضايا التي أثارها فيشر هي قِدَم الدراسات العربية، وهي مسألة سبقد. زكي مبارك (١٩٣٤م: ١/ ٥٤، ٦٤) الألمانيَّ فيشر إليها، ولكن دون تعرّض لمسألة المدارس، فهو يرى أن علوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض قديمة لا يصحّ الحكم بأنها نشأت كلها بعد الإسلام في القرن الأول والثاني كما يظن مؤرخو الآداب العربية؛

لأنه لا يُعقل أن يظهر كتاب كالقرآن الكريم في أهميته وفصاحته بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والبلاغة والنقد وطرائق التعبير، وبهذا فاللغة العربية قد تعدّت طور الطفولة منذ أزمان، واللغة حين تصل إلى عهد القوّة والفتوّة لا تخلو من باحثين يهتمون بتقييد ما يعرض لأساليبها. و ناقش هذه المسألة أيضا الأستاذ أحمد أمين (١٩٩٨م: ٢/ ٢٨٥) الذي يرى أن منشأ تاريخ النحو غامض كل الغموض، فإنّا نرى فجأة كتابا ضخما هو كتاب سيبويه ولا نرى قبله ما يصحّ أن يكون نواة تُبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء، وكل ما ذكروه من هذا القبيل لا يشفي غليلا،وشاركهما د. جواد علي (١٩٧٤م: ٨/ ٢٨٩) في ذلك؛ حيث ذكر أنه لا يَتصوّر أن ظهور علوم العربية جاء طفرة أو قفزة علمية مفاجئة، ولا يستبعد أن يعثر الباحثون على ما يفيد وجود أسس قديمة وأن دراسة العروض والنحو والصرف وسائر علوم العربية كانت قبل ظهور الإسلام.

وكذا د. محمد رشاد الحمزاوي (١٩٨٢م: ١١٨) الذي افترض أن النحو العربي قد نشأ وقُنّن وقُعّد قبل ظهور الإسلام، وقبل ظهور مدرستي البصرة والكوفة، و سيساعد على اعتماد هذا الرأي ما تميّزت به لغة القصيدة الشعرية من قواعد لغوية محكَمة مكتملة. وناقشه د. عبدالسلام المسدّي(٢٠١٠م: ٨٨-٩٣) في هذا معطيا له الحقَّ في الافتراض، ولكنه أبدى احترازا معرفيا تجاهه؛ كون ما حدّثنا به التاريخ حول نشأة النحو يبلغ حدّ التواتر باستيفائه حق الجرح والتعديل من قِبَل اللغويين والمفسرين والمؤرخين، وذكر أن الدافع لمثل هذا القول ما يجده بعضهم من صعوبة نفسية وذهنية وأدائية في تعاطيه مع الفصحى، أو مشقّة في تحويل الكلام الخطيّ المكتوب إلى مقروء عبر الارتجال النسقيِّ السريع فجنح إلى الظنّ بأن العربي لم تكن له السليقة الأدائية المكتسبة بالأمومة، وافترض أن العرب في الجاهلية كانوا يتلمذون على أئمة النحاة قبل أن يصوغوا أشعارهم، وذكر أن هذا التناول، وإن أبدى حُبًّا حضاريا حميما، يقود إلى الارتباك في منظومة المعرفة، ويكشف عوارا في أجهزة التفكير.

وأنا أقول إنه لا شكّ أن وصف حالة العرب قبل الإسلام في كتب الأقدمين قد عُرِضت على نحو لا يخلو من التشويه، واكتنفها التناقض والحرص على إظهارهم بمظهر الجاهل الذي لا حظّ له في معرفة أو حضارة، وهذا افتئات على الحقيقة وإسراف في القول لن نعدم أن نجد ما يدحضه في تراثنا، وفيما يتعلق بالتدوين وعلوم اللغة فليس هناك أوضح عبارة ولا أنصع حجة من قول ابن فارس: «... فأما ما حُكي عنه من الأَعْرَاب الذين لم يعرفوا الهمز والجرَّ والكاف والدال، فإنا لم نزعم أن العرب كلها، مدرا ووبرا، قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم: فما كُلٌّ يعرف الكتابة والخط والقراءة، وأبو حية النُّميري الذي لم يعرف الكاف كان أمس، وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخطّ ويقرأ. وكان في أصحاب رسول الله ﷺ كاتبون...أَفَيكونُجهل أبي حية بالكتابة حجة على هؤلاء الأئمة ؟ والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض، والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الإعراب أن نستقرئ قصيدة الحطيئة التي أولها:

شاقتكَ أضعانٌ لِلَيْـــــــــ ـــــــــــلى دُوْنَ ناظرةٍ بَواكِرْ

فنجد قوافيها كلها عند الترنم والإعراب تجيء مرفوعة، ولولا علم الحطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها لأن تساويها في حركة واحدة – اتفاقا من غير قصد – لا يكون.

فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أو ل من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول إن هذين العِلْمَين قد كانا قديما، وأتت عليهما الأيام، وقلاّ في أيدي الناس، ثم جدّدهما هذان الإمامان...» (د ت: ١٢–١٣) .وعلّق د.زكي مبارك (٢/ ٥١) على كلام ابن فارس هنا بأنه غلط حين نصَّ على أن هذين العِلْمين قد كانا قديما وأتت عليهما الأيام... ومعنى هذا أن النحو الذي نعرفه علم مجدَّد لا مبتكر وكذلك العروض، وهذا خطأ إن أردنا أن النحو والعروض كانا قديمين على مثل هذا الوضع، والحق أنه يبعد ألا يكون

العرب فكروا في ضبط لغتهم منذ العهود القديمة، ولكنه يبعد كذلك أن يكون ما عرفوه وتواضعوا عليه من الضوابط والقواعد مماثلا لما عُرِفَ بعد الإسلام؛ لأن النحو الذي نعرفه هو نحو اللغة القرشية، فكلمة (العرب) في عبارة ابن فارس تحتاج إلى تحديد. وهناك نصٌّ نُقل عن الأصمعي في قضية الضبط، وهو وإن كان مجملا فإنه ذو دلالة عامّة واضحة تعطي فكرة عن تصوّر القدماء، وتتسق مع فكرة ابن فارس ثم فيشر حديثا، يقول: «إنما ضبطت العربية قبل الإسلام بمئتي سنة» (٢٠١١م: ١٩١) وكنا بحاجة إلى تفصيل أكثر يبين مراده بالضبط.

ويقوّي ما سبق من القول بمعارف العرب أن الكتابة في الجاهلية كانت تدرّس وتُعلّم ولها مراكز تعليم في الحيرة والأنبار وعين التمر في العراق، وفي مكة والمدينة والطائف أيضا (الأسد ١٩٨٢م: ٥٠)، وهناك إشارات ودلائل كثيرة في كتب الأدب العربي تدلُّ على معرفة شعراء الجاهلية وصدر الإسلام بالكتابة، وحفظ أشعارهم في دواوين مكتوبة (بدوي، ١٩٧٩م: ٢٩٢)، ونظام الكتابة العربية يستلزم قواعد تنُمّ عن تفكير لغوي كالألف الفارقة، وأحرف العلة في الأفعال والأسماء، والظواهر الصوتية كالإدغام والإبدال، وعلى الرغم من عدم وجود ما يشير إلى تحوّل هذا النشاط إلى علم له أصول وقواعد، إلا ما ذكره ابن فارس، فإننا نستشف من بعض الدلائل وجود شيء ولو يسيرا حيث كان الشعراء أكثر فئات المجتمع الجاهلي حرصا على سلامة اللغة، ولهذا نرى الشاعر منهم ينقّح قصيدته حولا كاملا كما كان يفعل زهير وأرباب مدرسة عبيد الشعر، وكانوا يرجعون إلى الصواب إذا ما أُخِذَ عليهم خطأ كما فعل النابغة عندما أقوى في بعض قصائده(المرزباني، ١٩٢٤م: ٣٨)، وكل هذا يرينا ما للشعر من دور في تشكيل اللغة الأدبية الفصحى.

القضية الثانية:

ذكر فيشر قضية ثانية وهي أسبقية مدرسة الكوفة على مدرسة البصرة في الدراسات اللغوية، وهذا الزعم يخالف ما شاع لدى مؤرخي الدراسات النحوية من

كون مدرسة البصرة هي السابقة، فضلا عن أن بعض الباحثين كفايل (الأنصاري ١٩٦٤م: ٣٥٤)، وتابعه باريه وإبراهيم السامرائي (١٩٨٧م: ١٥٩) يرون أنه لم يكن للكوفيين مدرسة خاصة. وبروكلمان (١٩٨٥م: ٢/ ١٩٦) الذي ظهر له أن المنافسات بين علماء المدرستين قد بولغ فيها إلى حدّ لا مبرر له، وبعضهم تساءَلَ عن مدى صحة اعتبار التقسيم الجغرافي للمدارس النحوية على ما فيه من إشكالات منهجية وعلمية [1].

والذي أقوله هنا أن كُلّا من المدرستين البصرية والكوفية غلب عليها منهج مغاير للأخرى يظهر في عناية البصريين بالقياس وميلهم للتقعيد واقتصارهم على البادية في أخذ اللغة، واحترام الكوفيين للمسموع واعتدادهم بمختلف البيئات اللغوية، دون تساهل في قبول اللغات، سواء أكانت بدوية أم من عرب الأرياف كأعراب سواد الكوفة من تميم وأسد، أو أعراب سواد بغداد من أعراب الحطمية الذين غلّطهم البصريون ولحّنوهم، ولستُ في معرض المفاضلة بين المنهجين، وأكتفي بالإلماح إلى ما ذكره بلاشير(١٩٩٨م: ١٣٦) وأكّده فيما بعد د. محمد خير حلواني (دت: ٤١-٦٠) من أن الخلاف والتعصب المذهبي لم يكونا بين النحاة إلا في أواخر القرن الثالث الهجري وألَحّ عليه ثعلب من الكوفيين، والمبرّد من البصريين ومن تلاهما من النحاة، وترتّب عليه انتصار كل فريق لمدرسته وتنقّص علماء المدرسة الأخرى، وكُتُب التراجم والتاريخ طافحة بالاتهام المتبادل، والافتخار بالنفس والغضّ من الآخر وتضعيفه، هذا التعصب الذي جعل الرواسي عند البصريين مطروح القول ليس بشيء (اللغوي، ١٩٧٤م: ٤٨)، في حين كان عند الكوفيين شيئا آخر صنع كتاب الفيصل في النحو فبعث الخليلُ يستعيره، فبعثه إليه فقرأه الخليل وعمل كتابه عليه (القفطي، ١٩٥٠م: ٤/ ١٠٦).

(1) ينظر مثلا : الأفغاني، ١٩٧٨م : ٧٦، و بشر، ١٩٩٨م : ٥٤، و عمر، ١٩٨٨م : ١٢٨، وأبو المكارم، د ت : ٢٤٣.

وإذا كان كتاب سيبويه يمثل أول مؤلّف بين أيدينا في علوم العربية، وكان تأليفه حوالي منتصف القرن الثاني الهجري، فإنني سأحاول الغوص في المرحلة التي سبقت تأليفه، ومعرفة المزيد مما يتعلق بالشخصيات النحوية التي أُغفلت أو تُجوهل دورها خاصة في الكوفة، متجاوزا القول في نشأة النحو العربي وواضعه، التي على الرغم من تشكيك بعض المستشرقين – ومنهم فيشر كما سبق - فيها من الناحية التاريخية (فرستيج، ٢٠٠٣م: ٧٧، ٨٠) (فك، ١٩٨٠م: ٢١)، فإن أغلب الروايات تكاد تتفق على أن مؤسسه هو أبو الأسود الدؤلي بإشارة من الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، ومن أَولى ما يجب أن يُلتفت إليه أن الكوفة عَرَفَتْ نحويين تلمذوا على أبي الأسود الدؤلي(ت٦٩هـ) ومنهم حُمران بن أَعْيَنَ الطائي (القفطي ١٩٥٠م: ١/ ٣٧٤)، وحُرّ بن عبدالرحمن النحوي الذي سمع من أبي الأسود وعنه طلب إعراب القرآن أربعين سنة كما ذكر السيوطي (١٩٧٩م: ١/ ٤٩٣)، وكذا سعد بن شداد الكوفي الذي يُعرف بسعد الرابية وهو موضع كان يُعلّم به النحو (اليغموري، ١٩٦٤م: ٢٣)، ونستطيع أن نقول إن هؤلاء كانوا بإزاء الطبقة الأولى البصرية التي يُعَدّ فيها عنبسة بن معدان الفيل، ونصر بن عاصم الليثي، وعبدالرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر العدواني، وميمون الأقرن، وجميعهم لم يصل إلينا شيء من آرائهم النحوية.

وأتى بعدهم طبقة ثانية كوفية عاصرت من البصريين ابنَ أبي إسحاق الحضرمي وأبا عمرو بن العلاء وأخذت عن تلاميذ أبي الأسود ومنهم زهير بن ميمون الفُرقُبِي الكوفي النحوي (ت١٥٥هـ) وكان يحتجُّ للقراءات والعربية بأشعار العرب روى كثيرا عن ميمون الأقرن، وأخذ عنه أبو جعفر الرؤاسي (القفطي، ١٩٥٠م: ٢/ ١٨)، ومنهم شيبان بن عبدالرحمن التميمي الكوفي (ت١٦٤هـ) وهو كما يذكر الأنباري (١٩٨٥م: ٣٥-٣٧) من متقدّمي النحاة،، وأخيرا العلاء بن سيّابة شيخ معاذ الهراء (الفراء، د ت: ٢/ ٧٩) وأصحابه الكوفييونعلى رأسهم الفراء (الطبري، ٢٠٠٠م: ١٧/ ٣٦، الأندلسي، ١٩٩٩م: ٤/ ١٦٦٩).

وعلى أساس من هذا التتبّع التاريخي نتبين خطأ من جعل معاذ الهراء رأسَ المدرسة الكوفية فقد سُبق بطبقتين كما رأينا، وأيضا نتبين خطأ جَعْل الطبقة الثالثة البصرية برئاسة الخليل تلاقي الطبقة الأولى الكوفية بزعامة الرواسي (الطنطاوي، ١٩٦٩م: ٣٠، ٥٥)، فأنّى لهذا التقسيم أن يصحَّ؟ وهل يُعقل أن يكون الفرق بين نشأة المدرسة النحوية في المدينتين قريبا من مئة عام !ومعروف قرب المسافة بين المدينتين، وغلبة اليقين بمعرفة أصحاب كل مدينة بما يحدث في الأخرى أو بعضه، وإمكانية انتقالهم من مدينتهم إلى الأخرى، وهل أدلّ على التقارب بين البصرة والكوفة من قول الجاحظ: «تكون الحادثة في الكوفة غُدوة فيعلم بها أهل البصرة في المساء» (١٩٨٣م: ١/ ٨٠)، وأغرب منه أن يصل علم الكسائي والفراء إلى الأندلس عن طريق جودي النحوي ت ١٩٨هـ الذي انتقل إلى المشرق وأخذ عنهما ولا يكون اتصال بينها وبين البصرة ! (الزبيدي، ١٩٨٣م: ٢٥٤).

كل هذا يجعلنا نفكر مع فيشر الذي يرى أن الكوفة وريثة مملكة اللخميين في الحيرة حيث قام مركز للثقافة اللغوية والعناية بالشعر العربي قبل أبي مخنف بنحو ٢٠٠سنة، يقول: «وهكذا لا نخطئ الظن إذا جاز لنا أن نفترض موروثا طويلا لعناية لغوية فقهية، ودرس نظري للغة العربية الفصحى في هذه المدينة، ويصوِّر نثر أبي مخنف ثمرته الناضجة» (٢٠٠٨م: ٢١٩). وفي السياق ذاته اقترح فلهوزن أن العربية كانت قد تطوّرت على أيدي المسيحيين في الحيرة، وهي المدينة اللخمية التي يُنظر إليها على أنها كانت عاصمة الثقافة العربية الأدبية، وذكر أن المصادر الإسلامية عندما أوردت أسماء أوائل الذين كتبوا العربية ذكرت منهم اسم الشاعر زيد بن حماد (ت ٥٠٠م) وابنه الشاعر عَدِيّ بن زيد(المزيني، ٢٠٠١م: ٤٢، ٣٨٨)، وكان من الشعراء الجاهليين الذين تعلموا الخط والكتابة في مدارس الحيرة المرقّش وأخوه حرملة ابنا سعد بن مالك (الأصفهاني، ١٩٨٥م: ٦/ ١٣٠).

وهما يشيران إلى الحيرة التي كانت الكوفة والأنبار وريثتيها، فالحيرة كان سكانها

بعض القبائل العربية التي استقرت فيها قبل الإسلام، وقامت لهم بها دولة، وظلّوا محتفظين بالكثير من عاداتهم وتقاليدهم البدوية لا يخالطون غيرهم؛ حتى أن بعض الأعاجم كانوا يرسلون أبناءهم إليها، فقد ذكروا عن الملك يزدجرد الأول أنه أرسل ابنه بهرام جور الذي حكم ما بين (٤٢٠-٤٣٨م) لينشأ بين عرب الحيرة فنشأ فارسا مُحبًّا للعربية عارفا بها (الطبري، دت، ١/ ٤٤٣)،وكانت لغة الشعر المستخدمة في بلاط اللخميين في الحيرة، وفي بلاط الغساسنة بدمشق تتماثل مع تلك اللغة التي كان يسمعها العرب في نجد والحجاز المزيني، ٢٠٠١م: ٥٦).

وغير خافٍ ما للحيرة من أهمية مرتبطة بالعربية تاريخا وأدبا، فمن الناحية التاريخية فإن أقدم النقوش العربية التي عُثر عليها هو نقش النمارة المدوّن سنة ٣٢٨م، و كُشف في مدفن امرئ القيس بن عمرو من ملوك الحيرة، وهو مكتوب بالخط النبطي المتأخر الشبيه جدًّا بالخطوط العربية الكوفية، واشتمل على ألفاظ وجمل عربية واضحة مثل (ومَلَك العرب كلها، فلم يبلغ ملِكٌ مَبْلَغَه، وهَلَكَ سنة) وهذا ما دعا ولفنسون (١٩٨٠م: ١٨٩) إلى الاعتقاد بأن كاتب هذا النقش كان عالما باللغة العربية حيث استعمل أساليب فصيحة على لغة الحجاز (فرستيج، ٢٠٠٣م، ٤٨، فيشر، ٢٠٠١: ٧٨). ونشأت الكوفة منذ وقت مبكِّر مركزا لفن الكتابة، وكانت المصاحف الأولى التي كتبت في الربع الأول من القرن الهجري الأول مكتوبة بخط كوفي (فيشر، ٢٠٠١م: ١٢٧).

أمّا من الناحية الأدبية فقد اتصل الشعراء ببلاط الحيرة وخاضوا في أغلب أغراض الشعر من مدح وهجاء ورثاء واعتذار، ويذكر في هذا طرفة بن العبد وخاله المتلمّس وقصتهما مع عمرو بن هند الذي تولى الملك في الفترة ما بين (٥٦٣- ٥٧٨م) مشهورة في كتب الأدب، وخاض في آخر حياته صراعا مع الشاعر العربي عمرو بن كلثوم انتهى بمقتل عمرو بن هند على يد ابن كلثوم وخلّد ذلك في معلقته، وعدّ ابن قتيبة الشعراء الذين عاصروا عمرو بن هند من قدماء شعراء الجاهلية ومنهم سويد ويزيد اليشكريان،

وكان تأثير النعمان بن المنذر الذي تولى الملك في الفترة ما بين (٥٨٠ – ٦٠٢م) في حركة الشعر واضحًا وكبيرا حيث اتصل به شعراء جاهليون كثير، ومنهم: المنخّل اليشكري، والمثقّب العبدي، والأسود بن يعفر، وهجاه مالك بن نويرة اليربوعي بقوله:

لن يُذهِبَ اللؤمَ تاجٌ قد حُبِيْتَ به من الزبرجد والياقوت والذهب

ومن الشهرة بمكان صلة النابغة الذبياني بالنعمان وله فيه مدائح واعتذاريات، وعندما مات رثاه، ورثاه أيضا لبيد بن ربيعة، وزهير بن أبي سلمى (ابن قتيبة، د ت، ٦٤٩).

أما الأنبار فإن خالد بن الوليد حين اطمأنّ بها رأى أهلها يكتبون بالعربية ويتعلمونها، فسألهم ما أنتم ؟ فقالوا: قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر حين أباح العرب ثم لم تزل عنها، فقال: ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا: تعلمنا الخط من إياد (الطبري، دت: ٢/ ٥٧٦).

ثم أتيح للكوفة من الظروف السياسية ما يجعلها محور أحداث مهمة وأصبحت عاصمة الدولة في خلافة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومركزا للتشيُّع الذي أخذ في الانتشار بعد مقتل الحسين بن علي ﷺ (الطبري، دت: ٤/ ٤٢٦، ٤٣١)، وأدى بقاء العنصرين العربي والأعجمي جنبا إلى جنب إلى نشاط في رواية اللغة والشعر الذي كان وسيلة للمفاخرة بالعرب، بل إن الأخبار تشير إلى أمر مهم ذكره ابن جني (د ت: ١/ ٣٨٧) بسنده عن حماد أن النعمان بن المنذر أمر فنُسخت له أشعار العرب في الطنوج يعني الكراريس، فكُتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن عبيد قيل له: إن تحت القصر كنزا فاحْتَفَرَه فأخرج تلك الأشعار؛ فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة،وابن سلام الجمحي وهو مَنْ هو تدقيقا وتمحيصا للشعر الجاهلي يسوق رواية تثبت ما ذكره ابن جني، يقول: «وقد كان عند النعمان بن المنذرمنه (أي: من الشعر الجاهلي) ديوان فيه أشعار الفحول وما مُدِحَ هو وأهل بيته به، فصار ذلك إلى بني مروان، أو صار منه» (د ت: ٢٣).

القضية الثالثة:

أما القضية الثالثة التي أشار إليها فيشر فهي أن العربية المعرَبة هي من وضع النحاة العرب وأن لغة أبي مخنف النثرية كانت تمثل هذه اللغة، يقول: «فإن باستطاعتنا أن نثبت أن أبا مخنف يوجد على اتفاق تام مع اللغة المعرَبة التي وضعها النحاة العرب» (فيشر، ٢٠٠٨م: ٢١٧) وهنا يجب أن نتوقف مع فيشر بشأن اللغة المعرَبة التي نسب إلى النحاة وضْعَها، وكان الصواب أن يقول وصْفَها بدلا من وضْعِها، فإنْ قصد أن العربية لم تكن معربة فهذا زعم خاطئ وذلك أن القدماء نصُّوا على أن العرب كانوا يُعربون كلامهم، يقول المبرد: «وكان الصدر الأول من أصحاب رسول الله ﷺ يُعربون طبعا حتى خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم وتغيّرت لغاتهم» (المبرد، ١٩٥٦م: ٤)، وانظر إلى نص آخر أكثر كشفا لهذا القصد على لسان الزجاجيّ الذي أُلْهِم بما سيُقال – أو لعله أُثير في عصره – فصاغه في قالب جدليّ، يقول: «فإن قال: فأخبروني عن الكلام المنطوق به الذي نعرفه الآن بيننا، أتقولون إن العرب كانت نطقت به زمانا غير معرَب ثم أدخلت عليه الإعراب، أم هكذا نطقت به من أول تبلبل ألسنتها، قيل له: هكذا نطقت به من أول وهلة، ولم تنطق به زمانا غير معرب ثم أُعرِبَ» (الزجاجي، ١٩٦٩م: ٦٩-٧٠)، وتحدث ابن جني (د ت: ٢/ ٢٩) عن لغة الحضر وأنها تضاهي لغة العرب الفصحاء في حروفها وتأليفها، ولكنهم أخلُّوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح، والنصوص في هذا كثيرة مستفيضة، فهل نحن بحاجة إلى شهادات أخرى تدل على أن العربية كانت لغة إعراب بالملكَة المكتسبة ؟.

ويضاف إلى ما سبق أنه بمقارنة العربية بأخواتها الساميّات يقرر يوهان فك (١٩٨٠م: ١٥) أن العربية الفصحى احتفظت بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها اللغات السامية – باستثناء البابلية القديمة – قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، ألا وهي ظاهر التصرف الإعرابي، ولأنّ في أغلب هذه اللغات شيئا من بقايا الإعراب فأننا لا نكاد نجد خلافا بين دارسي اللغات الساميّة من المستشرقين

كولفنسون (١٩٨٠م، ١٥) وبرجستراسر (١٩٨٢م، ٧٥) ونولدكه (د ت، ٣٥) وغيرهم حول وجود الإعراب فيها؛ إلا ما أثاره قِلّة منهم فوللرز(Vollers) (المزيني، ٢٠٠١م، ٢٩٩) وباول كاله(Paul E.Kalha) من تشكيك في هذه الظاهرة (عبدالتواب، ١٩٩٩م، ٣٣٣)، ثم د. إبراهيم أنيس (١٩٧٨م: ٢٠٤، ٢٣٥) الذي اضطرب قوله في هذه المسألة فقد تبنّى في كتابه (من أسرار اللغة) القول بأن الإعراب قصةٌ نسجَها النحاة وأحكموا خيوطها؛ إذ ابتكروا بعض ظواهر الإعراب وقاسوا بعض أصوله رغبة منهم في الوصول إلى قواعد مطردة منسجمة، وكان لهم بهذا الفضل في نشأة ذلك النظام المحكَم الذي حدثونا به في كتبهم، وفرضوه على كل العصور من بعدهم.

وهذا القول الذي انفرد به من الباحثين العرب د / إبراهيم أنيس (١٩٩٢م: ٤٠، ٤٣، ٨٤) وحاول إثباته والدفاع عنه ، وعلى الرغم من تهافته وبطلانه وإمكان دحضه بما سبق وبغيره، إلا أن ما يثير العجب منه أننا وجدناه يناقضه في كتابه (في اللهجات العربية) حيث يذكر فيه أن الإعراب لم يكن مظهرا من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب، وإنما كان مواضعةً بين الخاصة منهم ثم النحاة من بعدهم، والتُزم في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم، ونُظم بها الشعر، وأُلقيت بها الخطب، أمّا في اللهجات ولغة التخاطب فلم يكونوا يعربون. ولعله تابع في هذا لزويتلر الذي يتفق مع ما اقترحه كورينتي بشأن اللغة العربية المعرَبة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين وأنها متزامنة مع لهجات أخرى غير معرَبة، وأن اللغة العربية المعرَبة لم تكن تتكلمها أي مجموعة أو مجموعات في ذلك الوقت بوصفها لغة يومية أو بوصفها مجرّد رمز على أسلوب الطبقة العليا أو البدو الأرستقراطيين، وبدلا من ذلك يمكن أن يُنظر إليها على أنها تُمثّل الشكل اللغوي الذي يكتسبه الشعراء ورواة الشعر بصورة تلقائية نتيجةً لازمة لحذقهم فنّ صناعة الشعر العربي وروايته، وأنها كانت تستعمل أحيانا في بعض أنواع النثر الخاص جدا، وفي أنواع الخطاب البليغ ومنه القرآن الكريم (المزيني، ٢٠٠١م، ٣٤٩، ٣٧٣، ٣٩٩، ٤٨٦).

والحقيقة أن هناك اتفاقا جوهريا بين علماء العربية على كون الفصحى هي لغة البدو، بينما نجد اختلافا كبيرا بين المستشرقين في هذه المسألة فمثلا فوللرز (Vollers) (بلاشير، ١٩٩٨م: ٩٨) خرج بنظرية تتفق جزئيا مع ما قاله علماء العربية وهي أن الفصحى تعتمد على لغة البدو في نجد واليمامة غير أن الشعراء غيّروها كثيرا، ويلتقي في ذلك مع بروكلمان وفتسشتاين وشارل بلا (١٩٩٧م: ٤٥) وورومان (٢٠٠٧م: ٢٢) وغيرهم على أن العربية الفصحى بصورتها التي نعرفها لم تكن لغة كلام أبدا، ويقارنها مارسيه (Marcais) بلغة هومير المصنوعة (عبدالتواب، ١٩٩٩م: ٧٦).

وأمّا كورتني(Courtenay) (المزيني، ٢٠٠١م: ٤٨٤) فكانت النقطة المركزية لديه هي الافتراض بأن العربية لم تخضع للتقعيد إلا في القرن الثامن أو التاسع الميلادي (الثاني أو الثالث الهجري)، ويخالف فريستيغوبلاو هذا القول حيث رأيا أن العربية المتكلمة القديمة وعربية الشعر لغة واحدة فيما يعرف بـ (العربية القديمة) واستند فريستيغإلى آراء النحاة العرب في ذلك وأنها حجة قوية، فيما اعتمد بلاو على دليل آخر وهو خُلوّ القرآن من الأخطاء اللغوية (فرستيج، ٢٠٠٣م: ٦٣).

ويرى نولدكه (Noldeke) أن الفصحى تعتمد على اللهجات الشائعة في نجد والحجاز ومنطقة الفرات على سواء، في حين جعل جويدي (Guidi) الفصحى خليطا من لهجات نجد وما جاورها، أما نللينو (Nallino) فيرى أن عامّيات قبائل معدّ توحّدت وكوّنت الفصحى، وأن ظهورها مرتبط بمملكة كندة، ويضيّق فيشر (Fischer) وهارتمان (Hartmann) الدائرة فيجعلانها تمثل لهجة لا لهجات ولكنهما لم يعيّناها(عبدالتواب، ١٩٩٩م: ٧٦، العجمي، ١٩٩٤م: ٧٨).

دراسة النصّ:

رغم الاختلاف الحادث حول دراسة اللغة في مظهرها المنطوق أو المكتوب فإن للنصّ أهميته الكبيرة في دراسات اللغويين، ونظرا لاختلاف المدارس اللغوية التي

ينتمي إليها علماء اللغة، واختلاف حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم فإنه لم يكن محددا بشكل واضح مفهوم النصّ، إلا أنه في ضوء الاتفاق المنتشر في التداولية النصية فقد عرّفه ديكرو(Ducrot.o) وسشايفر (٢٠٠٣م: ٥٣٣) بأنه: «سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة، وتشكِّل وحدة تواصلية» . وعاد فان دايك(Van Dijk) (٢٠٠١م: ١٦٨) بمفهوم الأسلوب إلى ما يمكن أن يطلق عليه شكل متميز للاستعمال اللغوي، على مستوى الجمل والنص أيضا، وركز بوجه خاص على أشكال التعبير في اللغة، أي: الملامح الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية للمنطوقات.

أما ماهيته فعبّر عنها – في ضوء المنهج البنيوي – تودوروف (Todorov) بقوله: «يمكن للنصّ أن يكون جملة، كما يمكن أن يكون كتابا تامًّا، وهو يُعرف باسقلاله وانغلاقه» (عياشي ٢٠٠٢م: ١٢٢)، وذكر أن مكوّناته:

- وجه ملفوظي (عناصر صوتية، وقاعدية...)
- ووجه نحوي (العلاقات بين الوحدات النصية)
- ووجه دلالي (مفتوح معقد للمضمون الدلالي تنتجه الوحدات اللسانية).

وعُني هاليدي (Halliday) في أعماله المتأخرة عناية بالغة بالنصّ بوصفه واحدًا من أهم المفاهيم في نموذجه النحوي، وتتجلى حقيقته عنده في كونه وحدة دلالية متماسكة تتحقق بوحدات معجمية ونحوية، وأسهم تبعا لفيرث (firth) في دراسة النص موصولا بالسياق الاجتماعي والثقافي، وهو نمط من الدراسة تميزت به المدرسة الإنجليزية (نحلة، ٢٠٠٩م: ٧٥، ١٥٣– ١٥٤). وشاركها بعض العلماء الألمان مثل إيزنبرجIsenberg.H (٢٠١٢م: ٣٥– ٣٧) الذي ميّز النصَّ بخاصيتين الأولى: كونه متواليةً من جملة أو عِدّة جُمل، والثانية التمام النّسبي.

وتتخذ الأسلوبية الحديثة من عموم الكلام منطوقا ومكتوبا مادة لدراستها، إلا أن ارتباطها بالكتابة أكثر ولهذا رأينا بول ريكور(P. Ricoeur) يولي الكتابة اهتمامه فيندفع إلى تأسيس نظرية للحدث الكتابي تميّزه عن الحدث الكلامي، ومن هذا المنطلق يعرّف

النصّ فيقول: «ألا فلنسمِّ نصًّا كل خطاب ثبّتَتْه الكتابة» (إيزنبرج، ٢٠١٢م: ١٢٧). ولحظ بالمر أنه ليس من الممكن وصف اللغة كلها بضربة واحدة، ولكن الوصف اللغوي يجب أن يجري – على الأقل في مراحله الأولى- على ما يسمى باللغات المقيدة Restricted Language كاللغات المختصة بالعلوم والرياضة، والدعاية والعناوين، وكتابات المؤلِّف الواحد... (نحلة، ٢٠٠٩م: ٢١).

ولأن لكلِّ نصٍّ بُعْدًا أسلوبيا، وكل اختيار هو اختيار دالّ، فقد دعت الحاجة إلى التمييز بين مختلف الأساليب، فكانت الأسلوبية تحليلا لوقائع التمثيل الكلامي، وظلت دراسة الأسلوب فترة طويلة مرتبطة بالنقد الأدبي الذي يعتمد على الذوق الشخصي، وإن استعان بوسائل أخرى تُحُدّ من ذاتية الأحكام، ثم اتجهت دراسة الأسلوب اتجاها مغايرا باقترابها من حقل الدراسات اللغوية، وأخذت تصطنع وسائل الدرس اللغوي الحديث في محاولة للاقتراب من الموضوعية في دراسة الأساليب بوجه عام، وصار التحليل اللغوي الذي يعتمد أساسا على جمع ما يمكن جمعه من الملاحظات الدقيقة على الأنماط النحوية والصرفية والصوتية باستخدام الإحصاءات لرصد الظواهر الأسلوبية، ثم تصنيف لهذه الملاحظات على أسس من الظواهر اللغوية التي تنتمي إليها كل مجموعة، والبحث عن تواتر هذه الملاحظات وتوزّعها بين أنماط تركيبية أوسع وأشمل في العمل الأدبي، ومقارنة الخصائص الأسلوبية بغيرها من الخصائص المستعملة في خارج النص (جبر، دت: ٩-١٩) .

وإذا كان النقد الأدبي يبحث في (مضمون) النص الأدبي وما ينضوي تحته من الأفكار والمعاني، ومن الخيال والعاطفة، ومن التجربة والصدق الفني فإن علم الأسلوب وعلم اللغة يُعنيان بالشكل ويتجهان نحو البنية، وتحت الشكل والبنية يُوضع النحو، والصرف، والأصوات، وخصائص الأداء الأخرى؛ إلا أن هذه المستويات تتباين في الأهمية بالنسبة للأسلوب، فالخصائص السمعية لأصوات الكلمة لا تعني علم الأسلوب، والصيغ الصرفية، على رأي بعض الدارسين، ذات علاقة محدودة به، أما

الجملة والوحدات التي دونها فهي أساس ضروري لعلم الأسلوب ينبغي أن ينظر إليها من حيث صلتها بالنص بأكمله وبالعناصر الأخرى فيه (عيّاد، ١٩٨٨م، ٦٠).وهناك صورة مجردة للجمل المعيارية في أذهان مستعملي اللغة، ويمثل الخروج أو العدول عن هذه الصورة اختيارا من المتكلم لا يسمح به النظام اللغوي، أو يكون الخروج ضمن متغيرات أو بدائل يسمح بها نظام اللغة على تفاوت في درجة الشيوع (المسدّي، د ت، ٣١، سليمان، ١٩٩٠م:٣١).

ومع أن الأشكال النصية، تقوم على قواعد وأعراف، فإن مستخدمي اللغة المتباينين – كما يقول فان دايك (٢٠٠١م: ١٦٢) – يمكن أن يختلفوا داخل إمكانات اللغة؛ فيستخدم أحدهم جملا أطول من الآخر، أو يستخدم ثروة لغوية أكبر، أو تكوينات تركيبية مغايرة، وعلى الرغم من أن هذا الاختلاف يكون بلا وعي عادة، إلا أنه بالتأكيد لا يستمر بصورة عشوائية دائما، ويمكن أن يُعزا مثلا إلى استعمال لغوي خاص بمجموعة أو طبقة، أو يحدده الأصل الاجتماعي أو الثقافي، وكذا الموقف الاتصالي.

وانسجاما مع ما سبق أتت بعض التعريفات للأسلوب فخلص هيل (A. HILL) إلى تحديد الأسلوب بأنه الرسالة التي تحملها العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية،لا في مستوى الجملة،وإنما في مستوى إطار أوسع منها كالنصِّ أو الكلام،وعرّفه ماروزو بأنه: اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه (المسدي، دت، ٩١، ١٠٢).

وتوسّع د. سعد مصلوح (١٩٩٢م: ١٣، ٧٢) في هذا التعريف فقال بأن الأسلوب اختيار أو انتقاء، يقوم به المنشئ، لسمات لغوية معيّنة لغرض التعبير عن موقف معين، وذكر أن علينا أن نميّز بين نوعين مختلفين من الاختيار: اختيار محكوم بالموقف والمقام، واختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة، فالاختيار الأول نفعي، والثاني اختيار نحوي. ويقرر جابيلانتز Gabelentz أن الأسلوب ينطوي على تفضيل الإنسان بعض

طاقات اللغة على بعضها الآخر في لحظة محدودة من لحظات الاستعمال.

وهذا عين ما اتجه إليه مؤسس علمِ الأسلوبِ الفرنسيِّشارل بالي ((Bally.C (عيّاد، ١٩٩٢م: ٣٢) الذي ميّز بين نموذجين من العلاقات يسميها المؤثرات الطبيعية والمؤثرات الاستدعائية، فالأولى تخبرنا عن المشاعر التي يكابدها المتكلم، بينما تخبرنا الثانية عن وسطه اللساني، وهذه المؤثرات إنما حظيت بها الاختيارات الحصيفة من بين السمات المتغيرة للغة، وبشكل جوهري في معجم المفردات، ثم بدرجة أقل في النحو، وقام في إطار هذه الذهنية نفسها أسلوبيون آخرون بوصف منظّم لكل أجزاء الخطاب (ديكرو،٢٠٠٣، ١٦٩).

وحدّد اللسانيون موضوع علم الأسلوبية بأنه: علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب. وعدَّسبيتزر(Spitzer.l) الأسلوبية جسر اللسانيات إلى تاريخ الأدب(عياشي، ٢٠٠٢م: ١٧، ٣٥، ١٤٢)، ويمكن أن يكون فيشر في جزء من دراسته لنثر أبي مخنف متكئا على هذه الفكرة؛ فكرة البحث عن الخواص الأسلوبية للنصّ، والاستدلال بالتمثيل الأسلوبي على قضايا تاريخية كثيرة تخص اللغة العربية، وبالنظر إلى الجانب التحليلي الذي ألقى الضوء على لغة أبي مخنف فإنه يمكن أن تندرج دراسة فيشر ضمن الدراسات الأسلوبية التكوينية أو الفردية وهذا يمثل الدراسة الأسلوبية في ناحيتها التطبيقية، كما يبرز عند فيشر جانب آخر وصفي يتمثل في تحديد الظواهر الأسلوبية العامة للغة العصر الذي كتب فيه النص ومدى تمثّل هذا النص لها، ومحاولة ربط النص بسياقه الزماني والمكاني، وتأثير العوامل المعرفية فيه.

وإذا كان الأسلوب التعبيري في الشعر والنثر يلتقي في بعض الخصائص الفنيّة؛ فإن هذا لا يعني أن لغة الشعر لا تختلف عن لغة النثر، فلغة الشعر تخاطب العاطفة بما فيها من صور، وما تحمله من انفعالات ومشاعر ودلالات إيحائية للألفاظ، ويخضع الأسلوب الشعري لأحكام الوزن والقافية، أمّا لغة النثر فغالبا ما تخاطب العقل بعباراتها التقريرية، وغايتها نقل الأفكار من المتكلم أو الكاتب بطريقة مباشرة (هلال،

١٩٧٣م: ٣٧٧)، يقول ابن رشيق: «وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يَعْدُوَها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سَمَّوها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها... والفلسفة وجَرُّ الأخبار باب آخر غير الشعر...» (القيرواني، د ت، ١/١٢٨). وعلى الرغم من إقرار د. عمر فروخ (١٩٨١م: ٢٦١) بأن لغة الشعر ألصق بالعاطفة، وأن لغة النثر أقرب إلى العقل إلا أن ذلك ليس قاعدة فاصلة، تؤدي إلى إقامة ستار حديدي بينهما، واستدل على ذلك بلغة الشعر التعليمي وشعر الحكمة التي تخلو من العاطفة، واستدل على ذلك أيضا بأن اليونانيين الأولين لم يفرقوا عند تدوين الفلسفة بين النثر والشعر فمنهم من كتبها شعرا ومنهم من دونها نثرا.

ورأى د. تمام حسان (٢٠٠٠م: ٧٦) أن الشعر يختلف عن النثر أسلوبا، ويختلف في الخصائص التركيبية نحويا وصرفيا، فالشعراء يترخصون حتى أصبح الترخّص أوضح ما يميز لغة الشعر عن لغة النثر، وكان الخروج عن جادة التراكيب القياسية للغة مؤديا إلى الغموض.

وبدافع من الفصل بين لغتي الشعر والنثر نادى بعض الباحثين بضرورة الفصل بينهما في وضع القواعد، حيث يرى شبيتالر (A.Spitaler) أن هذا الفصل من أهم الواجبات؛ عند التحدُّث عن بناء الجملة ووضع القواعد لنظامها، حتى مع صعوبة الفصل المتمثلة في انتقال بعض التعبيرات الشعرية إلى النثر. وهذا ما حاوله بلوخ (Alferd Bloch) في كتابه (الشعر واللغة في العربية القديمة) (عبدالتواب، ١٩٩٩م: ١٥٧).

وذكر د.رمضان عبدالتواب (١٩٩٩م: ١٥٨-١٦٢) عددا من الآثار التي يمكن لمسها، يظهر فيها عدم تَقَبُّل الشعر لما يختص به النثر من مثل توالي أكثر من ثلاثة مقاطع قصيرة في كلمة واحدة أو كلمات متتالية، وكذا اختصاص الشعر أو النثر ببعض الاستعمالات، والخصائص الصوتية. وذكر أن كثيرا من القدماء فطنوا إلى اختلاف لغة

الشعر عن لغة النثر، ومع ذلك لم يحاولوا الفصل بينهما في تقعيد القواعد؛ بل خلطوا بينهما مما أدى إلى اضطراب في بعض الأحكام (العجمي، ١٩٩٤م: ١٧١).

وعند محاولة دراسة أسلوب أبي مخنف فإنه ينبغي الالتفات إلى ما طرأ على البيئة العربية من تغيّر وتطور بفعل مخالطة الأمم الأخرى، فنثره ينتمي _ على الأرجح _ إلى أوائل القرن الثاني الهجري الذي يذكر د.طه حسين (١٩٣٦م: ٣٧، ٥٦) أن النثر بألوانه المختلفة قد وُجد فيه؛ نثر علمي عربي خالص في التاريخ والدين والسياسة وهو نثر يُحتمل فيه التجوّز اللغوي وإهمال بعض القواعد، ووُجد نثر عربي تشوبه الثقافة الأجنبية تكلّف فيه المترجمون ضروبا من الاعوجاج فأفسدوا تراكيب الجمل وأكثروا من التقديم والتأخير والحذف، والإطناب والإيجاز. وعندما قامت الدولة العباسية امتدّ سلطان النثر شيئا فشيئا واتسعت موضوعاته إلى أكثر مما كانت عليه أيام الأمويين نتيجة اتصال العرب بغيرهم من الأمم وتمكين الموالي والأعاجم من المناصب الكبرى في الدولة، فتغيرت لغة النثر تغيُّرا واضحا جدا. وظهر أسلوب تعبيري خاص أسموه (الأسلوب المولّد) يتميز بالسهولة والوضوح (الجرجاني، د ت، ١٨).

ورأى فيشر في أبي مخنف الناثر الأقدم والأجود الذي نعرفه حيث كتب قبل سيبويه أبي النحو العربي بجيلين، واعتمد في وصف نثره على مقارنته بمعاصره ابن إسحاق الذي استخدم ثروة لغوية يسيرة نسبيا، ورأى أبا مخنف يتقدم بشكل واضح على ابن إسحاق في وسيلته الأسلوبية المعتمدة على الخطاب المباشر الرفيع، على العكس من أبي إسحاق الذي يحمل خطابه المباشر خيوطا لغوية عاميّة، وتوضح المقارنة بينهما أهمية تأثير التعليم المدرسي النحوي، فلغة أبي مخنف تختلف عن لغة ابن إسحاق وعن لغة النحاة العرب اختلافا بارزا.

وفي دراسته لأسلوبه[1] ينصّ على أن أبا مخنف صاغ عمله صياغة مستقلة، وأنه كان يقتبس في حالات استثنائية فقط نماذج قديمة حرفيا، وهي نصوص مميزة تمييزا واضحا عن النصوص التي ألّفها، واستنتج من الخواص الأسلوبية التي تميِّز لغته بشكل واضح أنه يحب مثلا استخدام (أخذ يفعل) بدلا من (جعل يفعل) الذي شاع لدى غيره، ومن المحسنات التي يحبذها أبو مخنف التراكيب المبنيّة من أفعال مركّبة (فتواثبوا عليه) (أصبحت تطلب)، واستعماله الدقيق لأفعال الحركة (جاء وأتى) (وذهب ومضى)، وتفريقه الطريف بين كلمات أصبحت شبيهة المعنى تقريبا (القوم – الناس).

وفي الجزء الخاص بدراسة النص[2] وتحليله سأتجاوز مسألة البناء الدرامي التي أشار إليها فيشر إلى تحليل المادة اللغوية بمختلف عناصرها والغوص فيها؛ معتمدا نثر أبي مخنف دون نصوصه المقتبسة، وتَبيُّن الأثر المدرسي التعليمي في نصّ نثري مكتوب، وعرض استعمالات أبي مخنف على قواعد النحاة، ما وافق الجمهور أو خالفهم، وما وافق الكوفيين خاصة أن فيشر ذكر أنه ليس من باب الصدفة أنه عاش في الكوفة حيث لقيت القواعد العربية تهذيبها قبل منتصف القرن الثامن الميلادي.

أولا: موافقة الأكثر:

1- إنِ المخففة من الثقيلة:

روى سيبويه (١٩٨٨م: ٢/ ١٤٠) والأخفش (١٩٨٥م: ٢/ ٥٠٥) عن العرب إعمال «إنِ» المخففة من الثقيلة وإلحاق اللام المؤكِّدة بخبرها، والكوفيون(الشجري، ١٩٩٣م: ٣/ ١٤٧) يمنعون إعمالها ويجعلونها نافية بمعنى «ما» واللام بمعنى «إلا»

(1) قام فيشر بتحليل نص أبي مخنف من تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) الجزء الأول من صفحة ٣٢٦٠ إلى صفحة ٣٣٨٦ (المترجم).

(2) اعتمدت في التحليل كذلك على تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) الجزء الرابع ص ص٥٦٣ – ٥٧٥، والجزء الخامس كاملا(٦٣٦صفحة)، والجزء السادس ص ص ١ – ٢٥٠ .

(الأنباري، د ت، ٢/ ٦٤٠) وغلّطهم الزجاجي (١٩٦٩م: ١١٩)، وجعل المالقي (١٩٨٥م:٣٠٩) اللام لازمة في خبر كان فارقة بين «إنِ» النافية والمخفّفة، والذي يظهر في استعمالأبي مخنف موافقته للبصريين حين قال: «وإن كنت لسخيّا بنفسي» و يقول: «وإن كان التنوخيّ لفارس أهل الشام»، وقال: «أمَا والله إن كان ما علمت لمسلمًا حجّاجًا مُعتمرا»(الطبري، دت: ٤/ ٥٦٧، ٥/ ٦١، ٢٧٩).

ويحتمل أن يكون استعملها على مذهب الكوفيين فجعل «إن» بمعنى «ما» و «اللام» بمعنى «إلا» حيث يمكن توجيه عبارتيه بهذا المعنى (ما كنت إلا سخيًّا) (وما كان التنوخي إلا فارس أهل الشام) ويرجّحه استعمال أبي مخنف للام بمعنى «إلا» في قوله: «هذا ابن عمّنا، ننشدكم الله لما كففتم عنه» (الطبري، دت: ٥/ ٤٤٥) أي: إلا كففتم عنه، وهذا المعنى للام أثبته غير واحد من النحاة كالنحاس (١٩٨٥م: ٣/ ٩٠) الذي جعل من قوله تعالى: (وإن كلّ ذلك لّما متاع الحياة الدنيا) (الزخرف ٣٥) وحمل عليه الكوفيون قول الشاعر:

أمسى أبانُ ذليلا بعد عزّته وما أبان لِمَن أعلاج سودان

أي: إلا من أعلاج سودان (الأندلسي، ٢٠٠٠م: ٥/ ١٢١).

2- أنِ المخففة:

إذا ولي «أنِ» المخففة من الثقيلة فعل متصرف ولم يكن دعاء فُصِلَ بينها وبينه بـ بالسين أو «سوف» أو «لا» أو «قد» غالبا (سيبويه ١٩٨٨م: ٣/ ١٦٥)، وقد تباشره بعد فِعْلٍ قلبيٍّ وهو أكثر، ويَقِلُّ أن يكون غير قلبي (ابن مالك، ١٩٩٠م: ٢/ ٤٤)، ومذهب الكوفيين (الشجري، ١٩٩٣م: ١/ ٣٨٤، ٣/ ١٥٦، ١٥٨)في «أنِ» المخففة أنها لا تعمل في ظاهر ولا مضمر (العكبري، ١٩٩٥م، ١/ ٢٢٢)، ويظهر من استعمال أبي مخنف موافقتهم، يقول: «وقد علمنا أن قد أبطأتَ عنه بالنصر»، ويقول: «كنّا ظننّا أن قد هلك وهلكتم»، ويقول: «وأن قد وجبت»، ويقول: «ظننّا أن قد عرفه»، ويقول:

«وددت أن قد كان ذلك» (الطبري، د ت: ٤/ ٥٧٤، ٥/ ٢٣، ٥/ ٥٤، ٥/ ٦٠، ٧٢).

3- إنّ المؤكّدة:

جرى على طريقة النحاة في إلحاق اللام بخبرها اسما في قوله: «إنّك لشرُّ العرب حالا في ذلك»(الطبري، دت: ٤/ ٥٧٤)، واسم إشارة في قوله: «فإنّه لكذلك»، وقوله: «فإنهم لكذلكم إذ خرج عليهم» (الطبري، دت: ٥/ ٢١، ٤٣، ٢٦٢)، وضميرَ فَصْلٍ في قوله: «إنّ هذا لَهُو الخَطْب الجليل» (الطبري، دت: ٥/ ٤٥)، وفعلا مضارعا في قوله: «إن مولايَ لَيقاتِل» وقوله : «والله إني لأرى قوما»، وقوله: «وإنك لَنعرفك يا عيزار» (الطبري، دت: ٤/ ٥٧١، ٥/ ٣٨، ٨٩)، وشبه الجملة كقوله: «وإن القربةَ لفي يده»، وقوله: «والله إني لعند أمير المؤمنين»، وقوله: «إنَّ نفسًا أبيّة لبين جنبيه»، وقوله: «وإن الطعام لمعها» (الطبري، دت: ٤/ ٥٧١، ٥/ ١١٧، ٤١٥، ٦/ ١٠٦).

4- كان وأخواتها:

وفي باب (كان) أكثر من مسألة، وأُولاها: حذف كان مع اسمها وبقاء خبرها بعد «إن» الشرطية، ومنه قوله: «ومجزيّ بعملك إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرّ» (الطبري، دت: ٥/ ٥٧٨)، وحكى سيبويه قريبا منه في كتابه (١٩٨٨م: ١/ ١٣٠) وتابعه النحاة (الأزهري ١/ ٦٢٨).

وثانيها حذف كان واسمها وخبرها، وهو قليل؛ حكى سيبويه (١٩٨٨م: ١/ ١٤٨) وغيره (ابن الشجري ١٩٩٢م: ٢/ ١١٦، ٥١٣، ٥٧١):(إمّا لا) بحذف كان واسمها وخبرها مع التعويض بـ «ما»، وحكى الكوفيون: لا تأتِ الأمير فإنه جائرٌ، فتقول: أنا آتيه وإنْ، أي: وإن كان جائرا (الأزهري ١/ ٦٣٨)؛ بحذف كان مع معموليها من غير تعويض، وبالعودة إلى استعمال أبي مخنف نجده يتفق مع ماذكره سيبويه بقوله: «قالوا: إمّا لا فابعث إلى الأشتر فليأتك»وقوله: «فقال يا شوذب: ما في نفسك أن تصنع ؟ قال: ما أصنع ! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ﷺ حتى أقتلَ، قال: ذلك الظن بك؛

إمَّا لا فتقدّم بين يدي أبي عبدالله...» (الطبري، دت: ٥/ ٤٩، ٤٤٣، وينظر: ٦/ ٢١، ٢٤).

وثالثتها زيادة (كان) بين (ما) التعجبية و (أفعل)التعجب في قوله: «فما كان أسرع من أن جاءه مولاه»، وقوله: «ما كان أنقصَ عقله، وأجراه على ربّه» (الطبري، دت: ٤/ ٥٧٠، ٥/ ١٣١)، واختلف النحاة في (كان) بين التمام والنقصان والزيادة، ولا أثر لهذا الخلاف في عبارتي أبي مخنف (العكبري ١٩٩٥م: ١/ ٢٠٤).

(ليس):

(ليس) تنفي المضارع دون الماضي، وقد استعملها أبو مخنف، يقول: «وليس يُكلِّم رجلٌ منّا رجلا منهم فيجيب إلى خير»، ويقول: «أليس من لم يغدر ولم يفجر» (الطبري، دت: ٥/ ٧، ٩)، وحكى ابن عصفور (١٩٨٠م: ١/ ٣٨٠) وأبوحيان (٢٠٠٠م: ٤/ ١٥٠، ٣٠٤) الإجماع على أن الماضي يقع خبرا لليس على الإطلاق وقد ورد عند أبي مخنف، يقول: «إنّا لسنا حكّمنا الرجال إنما حكّمنا القرآن»، ويقول: «لست أنا قتلتُهم، أنما قتلهم من شهد عليهم»، ويقول: «قال: كلاّ: لستُ أتيْتُ» (الطبري، دت: ٥/ ٦٦، ٢٧٩).

٥ـ المفعول معه:

ذكر سيبويه (١٩٨٨م: ١/ ٣٠٣، ٣٠٩) والكسائي (ثعلب، ١٩٥٦م: ١٠٣) أن الرفع أجود في نحو (ما أنت وزيدٌ)، وقالابأن النصب قليل في كلام العرب في قولهم: ما أنت وزيدا، وكيف أنت وقصعةً من ثريد، كأنهم قالوا: كيف تكون وقصعةً من ثريد، وما كنت وزيدا.ولا يتبين في استعمال أبي مخنف الرفع من النصب فقد وردا في موضعين يحتملانهما في قوله: «ما أنت – لا أمَّ لك – والعزل وهذا الأمر»، ويقول: «وما أنت وابن عفّان»، ويقول: «وما أنت وعثمان» (الطبري، دت: ٥/ ٧، ٤٣، ١٠٤).

وأعمل المصدر المضاف فنصبه المفعول معه في قوله: «لقد أقررتَ عينَ ابنِ الزبير

بتخليتك إيّاه والحجازَ» (الطبري، دت: ٥/ ٣٨٤) وكان بعض النحاة يقصر باب المفعول معه على السماع (ابن مالك، ١٩٩٠م: ٢/ ٢٤٨، ٢٦٣).

٦ـ اسم التفضيل:

وفي استعمال أبي مخنف لاسم التفضيل أكثر من مسألة، فقد حذف «من» والمفضول في قوله: «لقلّما رأيت رجلا قطّ هو أطول ولا أعظم منه» يريد: أطول منه، وقوله: «ما هي بأبرَّ ولا أتقى»، وقوله: «ولا أحرم دما» (الطبري، دت: ٤/ ٥٧٥، ٥/ ٤٠، ٥٥)، وهذا الحذف للدلالة عليه كثير، وأكثر حذفه إذا كان (أفعل) خبرا لمبتدأكقوله تعالى: (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) (البقرة ٦١)، أو خبرا لكان وأخواتها كقول النابغة الجعدّي أو غيره :

..... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

أو خبرا لإنّ وأخواتها (السخاوي، ١٩٨٣م: ٢/ ٧٦١) .

وفي موضع آخر استخدم اسم التفضيل مضافا إلى معرفة وأفرد ضميره فقال: «من أعظم الرجال وأطوله»، وقال: «قد جاءك شرُّ أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه»، وقال: «وكان أقتلَ شيءٍ للرجال وأهيَبَهُ عندهم إذا رأوه»، وقوله: «وإنّه لأشجعُ العرب وأشدّه قتالا» (الطبري، دت: ٥/ ٢٢، ٤١٠، ٦/ ١٠٦، ٢٤٥)، وذكرسيبويه (١٩٨٨م: ١/ ٨٠) والسخاوي (١٩٨٣م: ٢/ ٧٦١) أن القياس فيه التثنية والجمع فيقال: هو أكرم الرجلين وأحسنهما، و أكرم الرجال وأفضلهم، وهي أكرم النساء وأفضلهن، وقد أجاز ناس الإفراد فيه، ومنه قول ذي الرُّمة:

وميّةُ أحسنُ الثقلين جِيدا وســـالفة وأحســـنُهُ قذالا

ولو طابق لقال: وأحسنهم، وأنشد بعضهم:

شرُّ يوميها وأشقاه لهـــا ركِبَـــت عَنْزٌ بحدج جمـــلا

ولو ثنّى لقال: وأشقاهما (الأندلسي، ١٩٩٩م: ٥/ ٢٣٢٥).

وسوّى الفراء (د ت: ٣/ ٢٦٨) بين الاستعمالين وأنشد على التوحيد قول أحدهم يلوم ابنين له:

يا أخبث الناس كل الناس قد علموا لو تستطيعان كُنّا مثل معضاد

فوحّد ولم يقُلْ: يا أخبَثَي، وكلٌّ صواب، ومن وحّد في الاثنين قال في الأنثى أيضا: هي أشقى القوم، ومن ثنّى قال: هي شُقْيا النسوة على فُعْلَى، وأنشدني المفضل الضبي:

غَبَقْتُك عُظْمَاها سناما أو انبرى برزقك براق المتون أريب

وحَذَفَ أبو مخنف الهمزة من (خير) في التفضيل في قوله: «إنَّ مصر أعظم من الشام؛ أكثر خيرا، وخير أهلا» وقوله: «والله لَدِيْنُنا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء» وقوله: «ثم عَدَوْنا على ابنه وهو خير أهل الأرض» (الطبري، دت: ٥/ ١٠٧، ١٢٥، ٤٣٧)، وكثُر هذا الحذف لكثرة الاستعمال وندر إثبات هذه الهمزة (السيوطي ١٩٩٨م: ٣/ ٢٨٠) .

٧- إعمال المصدر:

أَعْمَلَ أبو مخنف المصدر مضافا إلى الفاعل ونصب المفعول في قوله: «قطعُك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطِقَه»، وقوله: «لو أعلمُ أن قتلي نفسي يحرجني»، وقوله: «و كَسْر الخوارجِ أبوابَ السجون وخروجهم منها» (الطبري، دت: ٤/ ٥٧٤، ٥/ ٥٥٠، ٥٦٧) وهو كقوله تعالى: (وأكلهم أموالَ الناس)(النساء ١٦١) وهذا النوع ذكر أبو حيان (١٩٩٩م: ٥/ ٢٢٥٨) اتفاق البصريين والكوفيين على إعماله، وقال: وفي كلام بعض أصحابنا إشعار بالخلاف (الفراء، د ت: ١/ ٩٦، ٢/ ٣٢٤).

٨- النعت:

فَصَلَ أبو مخنف بين النعت والمنعوت في قوله: « فدخلوا إلا رجالا – من وجوه الناس – قليلا»، وقوله: «فخلّى سبيلهم وسبيل عيالهم إلا شيخا منهم نصرانيا» (الطبري، دت: ٥/ ٩٠، ١٢٨)وذكر ابن عصفور (١٩٨٠م: ٢٠٤) أن الفصل بين

النعت والمنعوت بمعمول أحدهما جائز في الكلام والشعر نحو قوله تعالى: (ذلك حشر علينا يسير) (سورة ق ٤٤) التقدير: ذلك حشر يسير علينا، فإن لم يكن الفصل بمعمول أحدهما فهو ضرورة.

وكان هشام الضرير من الكوفيين (ثعلب، ١٩٥٦م: ٥٣٠) يمنع الفصل بينهما بالجار والمجرور، وفصّل الفراء (د ت: ١/ ٥٥) فمنعه إن كان النعت مما يحتاج إليه المنعوت ليتمّ به مثل: رجلٌ بعد الظهر فاضلٌ سيأتي، وأجازه في نحو: حضر محمدٌ إلينا الفاضلُ.

٩ـ لولا:

تابع الأكثر في الإتيان بالضمير المنفصل بعد (لولا) في قوله: «ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان» وقوله: «لولا أنا لم تغيِّر شيئا» (الطبري، دت: ٥/ ٣٩، ٢٧٩)، ولم يأت في القرآن الكريم إلا كذلك، أمّا إيقاع المتصل بعدها فهو غير ممتنع وأجازه سيبويه (١٩٨٨م: ٢/ ٣٧٤)، والأنباري (د ت، ٢/ ٦٩٠) وأكثر النحاة (البغدادي، ١٩٧٩م: ٥/ ٣٣٩).

ثانيا: موافقة الكوفيين:

ووافق الكوفيين في مسائل، ومنها:

١- اقتران خبر(ليس) خاصة بالواو[1]، إذا كان اسمها نكرة عامّة في قوله: «فليس دارٌ إلا وفيها بكاء»، وقوله: «وأنه ليس شيءٌ يدخل عليكم من ذلك إلا ويدخل عليهم مثله» (الطبري، دت: ٥/ ٦٢، ١٩٤)، وقد نقل الفراء (د ت: ٢/ ٨٣) عن العرب قولهم: ليس أحدٌ إلا وهو هكذا؛ لأن الكلام قد يُتَوَهَّم تمامه بليس وحرفٍنكرة،

(1) وقد استعمله أبو مخنف غير مقترن بالواو في قوله : « فليس منهم رجلٌ إلا يخبره بما قام به المغيرة بن شعبة)) تاريخ الطبري ٥/ ١٨٦.

أما غير (ليس) من النواسخ فلا يقترن خبره بالواو (ابن مالك، ١٩٩٠م: ١/ ٣٥٩) .

على أن المسألة يمكن تناولها من جانب آخر وهو أن يكون خبر (ليس) محذوفا اقتصارا على اسمها، وتكون الجملة بعد «إلا» جملة حالية، وفيه دليل على جواز إظهار واو الحال بعد «إلا» وجواز حذفها، أنشد الفراء على الإظهار قول القطامي:

أمّا قريش فلن تلفاهمُ أبدا إلا وهُم خير من يحفى وينتعل

وأنشد أيضا على الإضمارقول الشاعر:

وما مسّ كفيّ من يدٍ طاب ريحها من النـاس إلا ريح كــفّك أطيب

أراد: إلا وريح كفّك (الأنباري، ١٩٩٣م: ٤٦٧)، ويؤيد هذا التوجيه استعمال أبي مخنف جملة الحال مقترنة بالواو بعد النفي بـ «ما» في قوله: «... ولَما قُتل إلا وسيفه في يده» (الطبري، دت: ٥/ ١١٠)، وبعد النفي بـ «لم» في قوله: «ولم يَشعر حيّانُ بن ظبيان إلا والرجال معه في داره نصف النهار»، وقوله: «فلم يشعر إلا والخيل طالعة عليهم» (الطبري، دت: ٥/ ١٨٢، ٦/ ٢٢١).

٢- استعمال «أو» ناصبة للفعل المضارع في قوله: «والناس غير منتهين أو يشربوا»، وقوله: «والله لئن وقعتُ في يده لا أُفْلتُ منه أبدًا أو يقتلني»، وقوله: «لا أبرح أو تضربَ عليك خندقا» (الطبري، دت: ٤/ ٥٧٢، ٥/ ٢٢٦، ٦/ ١٧٢)، ومذهب الكسائي وكثير من الكوفيين أن «أو» هذه ناصبة للفعل بنفسها(الأندلسي، ١٩٩٩م: ٤/ ١٦٨٠،١٦٦٨)، وذهب الفراء (د ت: ١/ ٢٣٥، ٢/ ٧١) وقوم من الكوفيين إلى أنه انتصب بالخلاف (ابن يعيش،د ت، ٧/ ٢١، الإستراباذي، د ت: ٤/ ٥٤).

٣- حذف إحدى التاءين في أول المضارع تخفيفا في قوله: «فلم تَنَاهوا عن طغيان»، وقوله: «فلم تَجَاهل»، وقوله: «تَمَنّى ذلك»، وقوله: «وتأديبكم كي تَعَلّمون»، وقوله: «وتَرَاجعوا إلى ما أُحِب» وقوله: «ولا تَعَرّض لبني أمية» (الطبري، دت: ٥/ ١٠، ٦٩، ٩١) والأصل فيها: تتناهوا، وتتجاهل، وتتمنّى، وتتعلّمون، وتتراجعوا، وتتعرض،

وهذا الحذف جارٍ في قراءة الكوفيين: عاصم وحمزة والكسائي (ابن زنجلة، ١٩٩٨م، ١٠٤، ١٨٨، ٤١٣)في مواضع من كتاب الله، ومنها قوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم﴾ [البقرة ٨٥] وقوله تعالى: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [النساء ١]، وقوله تعالى: ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ﴾ [الكهف ١٧]، الأصل فيها: تتظاهرون، وتتساءلون، وتتزاور (الفارسي، ١٩٨٤م: ٢/ ١٣٤، ٣/ ١١٨، ٥/ ١٣١) واستعمل طرفة في معلقته هذا الحذف (الأنباري، ١٩٩٣م: ١٤٣).

٤- وافقهم في بعض صيغ الجموع كجمع (رَاجِل) على رَجَّالة، ورُجَّال (الطبري، دت: ٥/ ١١، ١٢، ٨٥، ١٨٣، ٢٠٥، ٤٢٨، ٥٣٧، ٥٩٥)وكلاهما حكاه الكسائي، وعلى الثاني قراءة (فرُجّالا أو رُكبانا) (البقرة ٢٣٩) (العكبري، ١٩٩٦م: ١/ ٢٥٥).

ويمكن أن يجعل من موافقته للكوفيين قوله: «إلا قليلا من الضّعفاء والفَشَلة» وهو جمع لـ (فِشْل أو فشيل) فإن كان الأول فهو شاذ لأن قياس جمع فِعْلٍ في القلَّة على (أفعال) وفي الكثرة على (فِعَال) (الإستراباذي، ١٩٨٢م: ٢/ ١١٨)، وإن جُعل جمعا لـ (فشيل) فقد نقل الفراء (د ت: ٣/ ٢٣٧) عن العرب جمعهم فعيلا على (فَعَلَة) كقولهم في جمع سَرِيّ: سَرَاة. وحكى الصاغاني (١٩٨٣م: ١٥٣) فَشَلَ يفشُل ويفشِل وعلى هذا يكون اسم الفاعل منه (فاشل)ويكون جمعه على (فَشَلَة) قياس.

ثالثا: مخالفة الأكثر:

ومن ذلك:

١- دخول الباء في خبر الكونالمنفي وعليه قول أبي مخنف: «فلم يكُنْ بأوشكَ أن جاء عليٌّ فأخبراه خبره»، وقوله: «ثمَّ لم يكن بأسرع من أن جاء آخران فدخلا»، وقوله: «ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها»، وقوله: «فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم» (الطبري، دت: ٥/ ٨٩، ١٨٢، ٣٧١، ٤٣٦، وينظر: ٦/ ٦٣)،والمقيس زيادة الباء في خبر (ليس) و«ما»، أمّا زيادتها بعد الأفعال الناسخة فقليلة، ومنه في (كان) قول الشنفرى:

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم، إذ أجشع القوم أعجلُ

والنفي هو سبب زيادة الباء (ابن مالك، ١٩٩٠م: ١/ ٣٨٢).

٢- اقتران «أن» بخبر (كاد) في قوله: «وقد كادوا أن يموتوا) وقوله: «حتى كادت الشمس أن تَجِبَ» (الطبري، دت: ٥/ ٣٥٤، ٣٧٠)، و هذا الاقتران قليل وقاسه ابن مالك (د ت: ٩٩، ١٩٩٠م:١/ ٣٩١)، والأكثر كما قال سيبويه (١٩٨٨: ٣/ ١٦٠) والمبرد (د ت: ٣/ ٧٥) والأنباري (١٩٥٧: ٥) عدم اقترانه بها، وبه جاء الكتاب العزيز، وقد استعملهأبو مخنف على الأكثر مجردا الخبر من «أن» في قوله: «كادت تطلع على جوفه»، وقوله: «ولا يكاد يستشير المهلب في شيء» (الطبري، دت:٥/ ٣٧٣، ٦/ ٢١٣).

٣- عطف اسم ظاهر على مضمر مجرور بالجرّ، قال: «ما لَكَ ولرسولِ الله»، وقال: «ما لنا ولعثمان» (الطبري، دت:٥/ ٥٣، ٦/ ٥٠).، والكسائي يذكر أن الوجه في المعطوف النصب، والخفض جائز، وتابعه ابن خروف (الأندلسي، ١٩٩٩م: ٣/ ١٤٨٧).

٤- ترك اللام في جواب «لو» الشرطية الماضي المثبت في قوله: «لو أمرتك بمبارزته فعلت» وقوله: «ولو قد رجعوا كان رجوعهم فلًّا»، وقوله: «ولو قد أصابوني لَهَوا عن طلب غيري» (الطبري، دت: ٤/ ٥٦٧، ٥٧٢، ٥/ ٤١٩)، وتجرُّده منها قليل ومنه قوله تعالى: (لو نشاء جعلناه أُجاجا) (الواقعة ٧٠)، وقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

فلو أن قومي أنطقتهم رماحهم نطقت، ولكن الرماح أجرَّتِ

أي: لنطقت (ابن جني، ١٩٩٣م: ١/ ٣٢٣).

٥- الاستفهام بـ (ما) عن العاقل، وذلك في قوله: «ما أنتَ – لا أُمَّ لك – والعزل»، وقوله: «وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجْلِك»، وقوله: «ما أنت والأمان؟» (الطبري، دت: ٥/ ٧، ٣٧٥، وينظر ٥/ ٤٥٤)، وقد أجازه الفراء (د ت: ٢/ ٤١٦) والمبرد (د ت: ٢/ ٢٩٦، ٤/ ٢١٧) وابن يعيش (د ت: ٤/ ٥)، وتأوّل السهيلي

(١٩٨٤م: ١٨١-١٨٤) ما ورد منه بأنه لا يكون إلا بقرينة، أو لغرض المبالغة، أو التوبيخ؛ وهذا ما يظهر في عبارتَي أبي مخنف.

٦- حذف همزة الاستفهام قبل «أم» المعادلة في قوله: «ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس» وقوله: «فإني ما آلوكم ونفسي نصحا خطأ كان أم صوابا» (الطبري، دت: ٥/ ٥١، ٥٨٦)، وهو مختص بضرورة الشعر كما قال سيبويه(١٩٨٨م: ٣/ ١٧٤) والمبرد (د ت: ٢/ ٢٩٤) وابن عصفور الإشبيلي (١٩٨٠م: ١٥٨)، وذهب الأخفش (المالقي، ١٩٨٥م: ١٣٥) وتابعه بعض المتأخرين (ابن فارس، د ت، ٢٩٧) إلى جواز حذفها في الاختيار، وطرده المرادي (١٩٧٦م: ١٠٠) قبل «أم» المتصلة لكثرته نظما ونثرا .

٧- بنى اسم التفضيل من غير الثلاثي في قوله: «ما هي بأبرَّ ولا أتقى» وقوله: «كان أبلغ ولا أصوَبَ قولا منه» (الطبري، دت: ٥/ ٤٠، ٥٦٥) ففي الأول بناه من (اتّقى) وهو مزيد الثلاثي وهذا ممتنع عند الجمهور (الإشبيلي، ١٩٨٠م: ١/ ٥٩١) وأجازه الأخفش والمبرد(السيوطي، ١٩٩٨م: ٣/ ٢٧٨) وكأنهما راعيا أصله الثلاثي، ونُقل عن العرب: ما أتقاه ! (القوشجي، ٢٠٠١م: ٣٧٤).

وفي الثاني بناه من (أصاب) وفي بنائه من (أفعَلَ) خلاف، فسيبويه (١٩٨٨م: ١/ ٧٣) والمحققون من أصحابه يجيزونه مطلقا (ابن مالك،١٩٩٠م: ٣/ ٤٦)، والأخفش والمبرد (د ت: ٤/ ١٧٨، والفارسي (٢٠٠٤م: ٢/ ٣٦٠) وجماعة يمنعونه مطلقا (الأندلسي، ١٩٩٩م: ٤/ ٢٠٧٨)، وفرّق ابن عصفورالإشبيلي (١٩٧١م: ٧٨) بين أن تكون الهمزة للتعدية فلا يجوز، أو تكون لغير التعدية فيجوز، والراجح ما ذهب إليه سيبويه ومن تابعه لكثرة أمثلته.

٨- ومن مخالفته للأكثر استعماله بعض صيغ الجموع كقوله في جمع(غُلام): غِلْمَة (الطبري، دت: ٤/ ٥٦٨)، وهو قليل نائب مناب (أغلِمة) أو استُغني به عنه (الإستراباذي، ١٩٨٢م: ٢/ ١٩٢).

ومنه أيضا قوله في جمع (أسير): أُسَرَاء، وأُسارى (الطبري، دت: ٥/ ٥٥-٥٦)؛ وذلك أن فعيلا بمعنى مفعول بابه (فَعْلى) كجَريح:جَرْحَى (سيبويه، ١٩٨٨م: ٣/ ٦٤٧)، ووجهَّهُ الرضيّ الإستراباذي (١٩٨٢م: ٢/ ١٤١، ١٤٨) مع شذوذه على أنه محمول على فَعِيْل بمعنى فاعِل ككريم: كُرَمَاء. أمّا جمعه على (أُسارى) فأصله (أَسارى) بالفتح وهو في الأصل جمع لـ (فَعْلان فَعْلى)، وضُمّ أوله كما ضُمّ (سُكارى) (ثعلب، ١٩٥٦م: ٢/ ٤٠١).ومنه أيضا جمع: ناكِب، وغادِر، وفاجِر على: نُكُب، وغُدُر، وفُجُر (الطبري، دت: ٥/ ٩٠، ٣٨٣، ٤٧٤)، و (فُعُل) في جمع (فاعِل) محفوظ (الأندلسي، ١٩٩٩م: ١/ ٤٢٤).

رابعا: الاستعمال اللغوي:

١- (رُوَيْد) واقتصر في استعمالها على الحال في قوله: « وأصحابه ينكصون وراءهم رويدا رويدا»، وعلى الصفة في قوله: «وامشوا بنا إلى عَدُوِّناعلى تُؤَدةٍ رُويدا» (الطبري، دت: ٥/ ٤٣، ٦/ ٢٧)، ولم أرَه استعملها اسم فعل، ولا مصدرا.

٢- (هلُمَّ) وهي اسم فعل على لغة أهل الحجاز ولا يُبرزون فاعلها في التأنيث والتثنية والجمع (ابن قتيبة، ١٩٧٣م: ٥٥٧)، وجرى أبو مخنف على لغة أهل الحجاز فقال: «هلُمَّ أيها القوم إليَّ»، قال: «هلُمَّ أدارسك الكتاب» (الطبري، دت: ٥/ ٩، ١١٤)، وعلّل الفراء(الأنباري، ٢٠٠٤م:٢/ ٢٧٩) التوحيد في (هَلُمَّ) بأنه مُزال عن تصرف الفعل وشُبّه بالأدوات كقولهم: صهٍ ومهٍ وإيهٍ، وكل حرف من هذه لا يثنّى ولا يُجمع ولا يؤنث. وهي فعلٌ عند بني تميم فيُبرزون فاعلها ويقولون: هلُمّي، وهلُمّا، وهلمُّوا، وهلُمّن (ابن منظور، ١٩٩٧م: هلم).

٣- «لمّا» واستعملها بمعنى «إلاّ» في قوله: «عزمتُ على كل امرئ منكم لمّا أخذ عشرة أحجار»، وقوله: «ثم إنّه وقف فأقسم عليّ لمّا انصرفت» (الطبري، دت: ٥/ ٦١٩، ٦/ ١٢٠)، وهذا المعنى لـ «لمّا» بعد القَسَم نقله سيبويه والخليل (ابن

الشجري، ١٩٩٢م: ٣/ ١٤٥) والكسائي (المرادي، ١٩٧٦م: ٥٣٨)عن العرب، وهو قليل في كلامهم، ونسبت هذه اللغة لهذيل (ابن منظور، ١٩٩٧م: لما).

٤- (كُلّ) إذا قُطعت عن الإضافة لفظا جاز في المضاف إليه الإفراد بمراعاة اللفظ، فيقدّر في نحو قوله تعالى (قُلْ كُلٌّ يعمل على شاكلته) (الإسراء ٨٤): كُلّ أحدٍ، وجاء الجمع بمراعاة المعنى فيجوز في نحو قوله تعالى: (وكُلٌّ أتوه داخرين) (النمل ٨٧): وكلهم أتوه، وقد يتعيّن أحدهما (الدمشقي، ١٩٩٧م: ٢٧١)، وإذا كانت (كُلّ) في حيّز النفي كما في عبارة أبي مخنف «وكُلٌّ غيرُ غالبٍ» وقوله: «كُلّ ذلك لا تكلمه» (الطبري، دت، ٥/ ١٤، ٤٥٧) كان الكلام نفيا ' فإذا تقدّمت هي أفادت التنصيص على كل فرد، ويُسمّى (عموم السلب) من جهة أنه حكم بالسلب على كل فرد (الدمشقي، ١٩٩٧م: ٢٧٦، ٢٨٣)، ومنه قول إبراهيم الطائي:

فكيف وكُلٌّ ليس يعدو حِمَامَه وما لامرئ عمّا قضى الله مزحَلُ

فكل أحد لا يتعدّى حِمامه، ومثله قول دعبل الخزاعي:

فوالله ما أدري بأي سهامها رمتني، وكلٌّ عندنا ليس بالمُكْدِي

فمراده أن ينفي عن كل واحد من سهامها أنه مُكْدٍ، أي: لا يصيب (الجرجاني، ١٩٨٩م: ٢٨١).

٥- المضعّف: واستعمل فيه أيضا لغة أهل الحجاز، ولغتهم فك التضعيف، يقول: «وضرب شمر ضربة لم تَضْرُرْه»، ويقول: «فاردُدْ عليه رأيه»، ويقول: «فلم يزدَدْ الناس إلا كثرة»، ويقول: «لم أردُدْه عليك»، ويقابل هذه اللغة لغة تميمية (ابن يعيش، ١٩٧٣م: ٤٥٤) وهي عدم الفكّ وقد استعملها أبو مخنف أيضا «لم تضُرَّه،...» (الطبري، دت: ٥/ ٢٨، ١١٥، ١١٩).

٦- الإبدال: وجرى فيه على مذهب العرب في قلب التاء طاءً وإدغام الأول في الثاني مما كان على (افتعل) وفاؤه من حروف الإطباق: الصاد والضاد والطاء والظاء

(سيبويه، ١٩٨٨م: ٤/ ٢٣٩)، يقول: «ثمّ اطّعَنّا والله بالرماح طويلا» (الطبري، دت: ٤/ ٥٦٩، ٥٧٢) أصله (اطتعنا) ثم أبدل من التاء طاء وأُدغما إدغام المثلين (الثمانيني، ١٩٩٩م: ٣٦٠) .

٧- الجمع: وعلى الرغم من قياسه لبعض صيغ الجمع (الإستراباذي، ١٩٨٢م: ٢/ ١٤٨، ١٥٧) كقوله في جمع ناصح: نُصَحَاء، وفي جمع بَشِيْر: بُشَرَاء، وفي جمع آثم: أَثَمة(الطبري، دت: ٥/ ٦٠، ١٠٨، ٣١١).فإنه استعمل بعض الجموع التي لم أجدها عند غيره كجمعه لـ (غاشٍ) على (أغشّاء) (الطبري، دت: ٥/ ٦٠)، وقياسه: غَشَشَة (الزبيدي، ١٩٨٧م: غشش). وقوله في جمع (مُرصِد): مُرَاصِدة، وفي جمع (مُرامٍ): مُرامِيَة(الطبري، دت: ٥/ ٣٧٣، ٤٣٧، ٤٩٠).

أهم النتائج

- على الرغم مما نقلته لنا كتب التاريخ والطبقات وغيرها عن نشأة علم النحو وعلوم العربية إلا أن بعض القضايا تظل محل تساؤل، ويكتنفها شيء من الغموض، وهي بحاجة إلى مراجعة ونظر جديدين وهذا ما حاول البحث إثباته.
- عرض البحث لعدد من الآراء التي سبقت فيشر في مسألة قِدَم الدراسات اللغوية، ومدى اتفاقها أو اختلافها مع دراسته.
- اعتمد البحث الدراسة التاريخية المؤصَّلة لعدد من النصوص وتتبعها ومحّصها واستنطقها فيما يمكن أن يدعم عمليا الفكرة التي يعالجها سواء في نشأة النحو، أو ما يتعلق بمدرسة الكوفة.
- هناك اختلاف بين القدماء وبعض المحدَثين فيما يتصل باللغة المعرَبة؛ ففي حين يتفق القدماء وكثير من المتأخرين حتى المستشرقين على أن العرب كانوا يعربون كلامهم، نرى بعض المستشرقين يخالفون ذلك، وتابعهم د. إبراهيم أنيس.

- ظهر جليا الخلاف بين القدماء والمحدَثين في حقيقة اللغة الفصحى، فالقدماء متفقون على أنها لغة البدو تتفق فيها لغة الكلام ولغة الشعر، والمستشرقون مختلفون؛ فمن قائل أنها لغة البادية محصورة في بعض المناطق، وهناك من قال إنها لغة الشعراء، ومن قائل أنها لغة مصنوعة في القرنين الثاني والثالث الهجريين.
- وصل البحث إلى أنه يمكن أن تندرج دراسة فيشر للعربية اعتمادا على نثر أبي مخنف الأزدي ضمن الأسلوبية التكوينية أو الفردية التي تمثل الأسلوبية في ناحيتها التطبيقية.
- اعتمد البحث المنهج التحليلي في دراسة الملامح اللغوية المختلفة لنص وأسلوب أبي مخنف الأزدي اعتمادا على نقول الطبري عنه في تاريخه، بعد أن تحقق للنص التمام النسبي، حيث تمثل اختيارات الكاتب للسمات اللغوية المختلفة مرتكزا للغويين حين يصِفُون أجزاء الخطاب في إطار الصيغ أو التركيب النحوي.
- عالجت الدراسة الأسلوبية لنص أبي مخنف الشكل والبنية؛ بناء على المعيارية التي ارتضاها النحاة العرب على اختلاف مذاهبهم بعد تقعيد القواعد.
- اتضح بعد الدراسة الأسلوبية اتفاق أبي مخنف في أسلوبه ولغته مع اللغة التي بنيت عليها القواعد عند الجمهور في مسائل، وفي أخرى تبين اتفاقه مع المدرسة الكوفية، وخالف في أخرى ما شاع في القواعد والاستعمال لا سيما ما يتعلق ببعض صيغ الجموع.

فهرس المصادر والمراجع

الأخفش، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق/ عبدالأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥-١٩٨٥م.

الأزهري، خالد بن عبدالله، التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق د / عبدالفتاح بحيري، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

الإستراباذي، رضي الدين،

- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق / مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح كافية ابن الحاجب، تصحيح وتعليق / يوسف حسن عمر، دط، دت.

الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، ط٦، ١٩٨٢م.

الإشبيلي، علي بن مؤمن بن عصفور،

- شرح جمل الزجاجي، تحقيق د. صاحب أبوجناح، بغداد، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ضرائر الشعر، تحقيق / السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط١، ١٩٨٠م.
- المقرب، تحقيق / أحمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م..

الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

الأصمعي، عبدالملك بن قريب، التفسح في اللغة، رواية عبدالله بن محمد بن سفيان النحوي، تحقيق د.عادل العبيدي، دار دجلة، عمّان، ط١، ٢٠١١م.

الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨ه-١٩٧٨م.

أمين، أحمد، ضحى الإسلام، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

الأنباري، أبو البركات،

- أسرار العربية، تحقيق/ محمد البيطار، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٧هـ=١٩٥٧م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق / محمد محيي الدين عبدالحميد، دارالفكر، دت
- نزهة الألباء، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن،ط٣، ١٤٠٥هـ. -١٩٨٥م.

الأنباري، محمد بن القاسم،
- الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق د. حاتم الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق/ عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٩٣م.

الأندلسي، أبو حيان،
- ارتشاف الضرب، تحقيق د. رجب عثمان، مطبعة الخانجي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- التذييل والتكميل، تحقيق/ حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

الأنصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ط١، ١٣٨٤ه-١٩٦٤م.

أنيس، إبراهيم،
- في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٢م.
- من أسرار اللغة، مكتبة الإنجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٨م.

إيزنبرج، هورست، نظرية النص وموضوع النحو، ترجمة د.سعيد بحيري، نشر مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م.

الأيوبي، هاشم، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي لفيشر (مجموعة مؤلفين)، ط١، ١٩٩٤م.

بدوي، عبدالرحمن (ترجمة)، دراسات المستشرقين حول صحة الأدب الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

براجستراسر، التطور النحوي، أخرجه د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

بروكلمان، كارل،

- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين نبيه فارس وزميله، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ٢٠٠٥م.
- تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية د. عبدالحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م.

بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق / عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

بلا، شارل، تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريب / رفيق بن ونّاس وآخرين، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.

بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دارالفكر، دمشق، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ثعلب، أبوالعباس أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب، تحقيق / عبدالسلام هارون، دار المعارف،ط٢، ١٣٧٥هـ -١٩٥٦م.

الثمانيني، عمر بن ثابت، شرح التصريف، تحقيق د. إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

جبر، محمد عبدالله، الأسلوب والنحو (دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية)، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، دت.

الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق / محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م.

الجرجاني، علي بن عبدالعزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، دت.

الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق / محمود شاكر، الناشر / دارالمدني، جدة، د ت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان،

- سر صناعة الإعراب، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الخصائص، تحقيق / محمد علي النجار، دارالهدى للطباعة والنشر، بيروت.

جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة ببغداد، ط١، ١٩٦٨م.

حسان، تمام، الأصول (دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

حسين، طه، من حديث الشعر والنثر، نشر وطبع دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٣٦م.

الحلواني، محمد خير، الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، دار القلم العربي، حلب، ط١، دت.

الحمزاوي، محمد، العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ١٩٨٢م.

الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

الدمشقي، خليل بن كيكلدي العلائي، تلقيح الفهوم بتنقيح صيغ العموم، تحقيق / علي معوض وعادل عبدالموجود، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٨م.

ديكرو، أوزوالد و سشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٣م.

رومان، أندره، المجمل في العربة النظامية، ترجمة / حسن حمزة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٣م.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق / عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

الزجاجي، اللامات، تحقيق د. مازن المبارك، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق/ سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

السامرائي، إبراهيم، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر، عمّان، ط١، ١٩٨٧م.

السخاوي، علم الدين، سفر السعادة وسفير الإفادة، تحقيق/ محمد الدالي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.

ابن السرّاج، محمد بن السري، الأصول، تحقيق / عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

السعدني، مصطفى، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٧م.

سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.

السهيلي، نتائج الفكر، تحقيق د. محمد البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق / عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

السيوطي، جلال الدين،

- بغية الوعاة، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
- همع الهوامع، تحقيق / أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

شارل بلا، تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريب/ رفيق بن ونّاس وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

ابن الشجري، هبة الله علي، الأمالي، تحقيق د. محمود الطناحي، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

الصغاني، الحسن بن محمد، الشوارد في اللغة، تحقيق / عدنان الدوري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣ه-١٩٨٣.

الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق / أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م.

الطبري، محمد بن جرير،
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د ت.
- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط٢، ١٩٦٩م.

عبدالتواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

العجمي، فالح، أبعاد العربية (دراسة في فقه العربية وتاريخ تطورها وعلاقتها بباقي اللغات السامية، مطابع الناشر العربي، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

العلي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، بيروت، ١٩٨٦-١٩٧٤م.

العكبري، أبو البقاء،
- إعراب القراءات الشواذ، تحقيق / محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق د. غازي طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

عمايرة، إسماعيل،
- المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، عمّان، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م.

عياد، شكري محمد،
- اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي) دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- مدخل إلى علم الأسلوب، المشروع للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

عياشي، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الناشر مركز الإنماء الحضاري، حلب-سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.

ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دت.

الفارسي، الحسن بن عبدالغفار،
- الإغفال، تحقيق/ عبدالله حاج إبراهيم، المجمع الثقافي، الإمارات العربية، ط١، ١٤١٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- الحجة للقراء السبعة، تحقيق / بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

فان دايك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة د. سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق / أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الدار المصرية للكتاب، دت ف.

فرستيج، كيس، اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة / محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

فروخ، عمر، عبقرية اللغة العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١ه-١٩٨١م.

فك، يوهان، العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي – مصر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

فولفد يتريش فيشر،
- الأساس في فقه اللغة، ترجمة د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
- دراسات في العربية(أصولها – مراحلها التاريخية – بنيتها – لهجاتها- علاقاتها بأخواتها الساميات)، ترجمة د.سعيد بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

نثر أبي مِخْنَف، ضمن كتاب (بحوث ألمانية في الأدب العربي القديم)، ترجمة د. محمد فؤاد نعناع، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم،
- المعارف، تحقيق د.ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط٤، د ت.
- تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

أدب الكاتب، تحقيق / محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٤، ١٣٨٢هـ -١٩٦٣م.

القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

القوشجي، علاء الدين، عنقود الزواهر في الصرف، تحقيق د. أحمد عفيفي، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، / محمد محيي الدين عبد الحميد، دط، دت..

كتاب ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية المنعقدة بالرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

كيس، فرستيغ، اللغة العربية:تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة / محمد الشرقاوي، نشر المجلس الأعلى للثقافة بمصر، ط١، ٢٠٠٣م.

اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويين، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٩٤/ ١٩٧٤م.

المالقي، أحمد بن عبدالنور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله،

- شرح التسهيل، تحقيق د. عبدالرحمن السيد ود.محمد المختون، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- شواهد التوضيح والتصحيح، تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ط ١، ١٣٥٢هـ-١٩٣٤.

المبرد، محمد بن يزيد،

- الفاضل، تحقيق/ عبدالعزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٧٥هـ -١٩٥٦م.
- المقتضب، تحقيق / محمد عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د ت.

المرادي، الحسن ابن أم قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق / طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

المرزباني، محمد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، اعتنت به جمعية نشر الكتب العربية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٣/ ١٩٢٤م.

المزيني، حمزة قبلان (ترجمة)، دراسات في تأريخ اللغة العربية، دار الفيصل الثقافية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

المسدي، عبدالسلام،
- الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس،ط٣،دت.
- العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠١٠م

مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

المكارم (أبو)، علي، تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، ط١، دت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق/ أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحيار التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

المهيري، عبدالقادر، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٣٣م.

النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

نحلة، محمود أحمد، علم اللغة النظامي (مدخل إلأى النظرية اللغوية عند هاليداي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

النديم، ابن، الفهرست، اعتنى به/ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

نولدكه، تيودور، اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، دار النهضة العربية، القاهرة.

هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م.

ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي،
- شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المثنى القاهرة، دت.
- شرح الملوكي في التصريف، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط١، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

اليغموري، يوسف بن أحمد، نور القبس المختصر من المقتبس، عني بتحقيقه / رودلف زلهايم، نشر فرانتز شتاينر بفيسبادن، ألمانيا، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.